أهوال القيامة

عبد الملك علي الكليب

أهوال القيامة

عبد الملك علي الكليب

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ هذه يا عبدَ الله تبصرةٌ مُهداةٌ إليكَ في زمانٍ لا يَنصحُ الناسُ فيه ولا يَنتَصِحُون ولا بمن ماتَ يَعتَبِرُون وهم في كل يوم يَرذلون ، وقد قيل : إن أخاكَ من نصحك في دينكَ وبصَّرَكَ عيوبك وهداكَ إلى مراشِدِكَ ، وإن عدوّكَ من غَرَّك ومنَّاكَ .

ألا فاعلم يا عبدَالله أن هذه الدنيا مدبرةٌ فانيةٌ ثم المردُّ إلى اللهِ تعالى وإلى جنةٍ أو نارٍ خلودٌ بلا موت ، وإقامةٌ بلا ظَعن ، قالَ اللهُ جَلَّ ثناؤه (يا أيُّهَا الناسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنيَا ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ(١) . إنَّ الشَّيطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عدوّاً إنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرْ) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذا قيلَ لَكُمُ انفِرُوا في سبيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فما مَتَاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلْ) .

وقالَ تَعالى (وَفَرِحُواْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاع) .

(١) يعني الشيطان . .

وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « تَعِسَ عبدُ الدينارِ وعبدَ الدِّرهَمِ وعبدُ الخَميصة (٢) إن أُعطِيَ رضِيَ وإن لم يُعطَ سخِطَ ، تعسَ وانتَكَس (٣) وإذا شِيْكَ فلا انتَقَشَ (٤) ، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللهِ أشعثَ رأسُهُ مغبَرَّةٍ قدماه ، إن كان في الحِراسةِ كان في الحراسةِ وإن كان في الساقةِ (٥) كان في الساقةِ إن استأذَنَ لم يُؤذَنْ لَهُ وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ » (٦) .

كم من صاحبٍ لي لو شئتُ سَمَّيتُهُ أطلق نفسَه في شهواتِها ووقع أسيرَ اللذةِ وغفلَ عن ذكرِ الموتِ والحسابِ ، فلما هداني اللهُ عز وجل لطاعتِهِ وامتثالِ أوامره وتحقيق مخافته فَزعتُ إلى صاحبي أنصحُه وارَغبُه وأُرْهبه فما كان منه إلا أن اعتذر بشبابه ، وغرَّهُ طولُ الأمل ، فوالله لقد فاجأه الموتُ فأصبحَ اليومَ في الترابِ دفينا ، وصار بما قدم من السيئات مرتبطاً رهينا ، ذهبت عنه اللذات ، وفارقته الغانيات وبقيت في عنقه التبعاتُ وأقبل على الجبارِ بأعمالِ الفَسَقَةِ الفُجّار ،

---

(٢) الخميصة : كساء أسود مُعَلَّم من الخز أو الصوف .

(٣) دعاه عليه : أي عاوده المرض .

(٤) أي إذا دخلت فيه شوكة فلا وجد من يخرجها بالمنقاش .

(٥) الساقة : مؤخرة الجيش، أي أنه متواضع لا يقصد السمو ، راضٍ بما يقسم له .

(٦) الفتح ٤٢٢/٦

أعاذني الله وإياك من صحيفةٍ كصحيفته ومن خاتمةٍ كخاتمته . فاتقِ الله يا عبدَ الله ولا يكن مثلُك كمثلهِ وأنت تعلم أن هذه قد ارتحلت مدبرة ، وأن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، واذكر ساعةَ الموتِ والإنتقال وما يتمثلُ لديك ساعتها من كثرة السيئات وقلة الحسنات فما وددت عَمَلَه في تلك الساعةِ فعجِّلْ بعمله من اليوم وما وددت اجتنابه فمن الآن .

فلو أنَّا إذا مِتنا تُركنا   لكان الموتُ راحةَ كُلِّ حَيٍّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا   ونُسأَلُ بعدَهُ عن كُلِّ شَيٍّ

وقد اجتهدتُ أن أعرض عليك يا عبدَالله في هذه الرسالةِ ما يكونُ من أحوالِ البرزخِ والمعاد من ساعةِ مفارقةِ الروحِ الجسدَ حتى يدخل أَهلُ الجنةِ الجنةَ وأَهلُ النارِ النارَ وذلك من الكتاب الكَريم والسُّنةِ الصحيحة فالله الله يا عبدَالله إياك إياك وطولَ الأَمَل ، فإن الموتَ قد يبغت .

أَسأَلُ اللهَ عز وجل أن يهدي بهذه التبصرةِ خلقاً كثيراً من عباده الغافلين ، وأن يجعل فيها عوناً لعباده الصالحين المشتاقين ، وأن يُثقلَ بفضله ورحمته بها يوم الحساب ميزاني ، وأن يجعلها من الأعمال التي لا ينقطع عني نفعها بعد أن أُدرجَ في أكفاني ، وأنا سائلٌ أخاً انتفع بشيء مما فيها أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين

أجمعين ، وعلى رب العالمين اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العزيز الحكيم .

عبد الملك الكليب

الكويت في ٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٩٩

العذابُ والنعيمُ في البرزَخ

اعلم يا عبدَاللهِ أنَّ القبر أولُ منازلِ الآخرة وأنه من مات قامت قيامتُه الصغرى وأن العبد إذا قُبِرَ عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة – أي ما بين الفجر وشروق الشمس – والعشى – أي ما بين الظهر والغروب – إن كان من أهلِ الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهلِ النار فمن أهل النار ويُفْسَحُ للمؤمـن في قبره سبعون ذراعاً ويُملأُ عليه خَضِراً إلى يوم يبعثون ، أما الكافر فيُضرب بمطارق من حديد ويُضَيَّقُ عليه قَبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه .

أحوال الإحتضار وصعود الأرواح وما يكون من العذاب والنعيم في القبر

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (حَتَّى إِذَا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ ، كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوْءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوْآ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ) .

١ – وعنِ البراءِ بْنِ عازِبٍ رضي اللهُ عنهما قالَ : خرجنا مع رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ

فانتهينا إلى القبرِ ولَمَّا يُلْحَدُ (٧) بَعد ، فجلس رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم وجلسناَ حولَه كأنَّما على رؤوسِنا الطير وبيده عودٌ ينكُتُ (٨) به في الأرض فرفع رأسه فقال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » – مرتين أو ثلاثا – ثم قال : « إن العَبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوهِ كأن وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهُم كفنٌ من أكفانِ الجنةِ وحنوطٌ (٩) من حَنوطِ الجنةِ حتى يجلسوا منه مدَّ البصَر ويجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى يجلسَ عند رأسِهِ فيقول : أيتها النفسُ الطيبَةُ اخرجي إلى مغفرةٍ من اللهِ ورضوان ، قال : فتخرجُ فتسيلُ كما تسيلُ القَطرةُ من فِيِّ السِّقاء ، فيأْخذُها فإذا أخَذها لم يدعُوها في يدهِ طرفة عينٍ حتى يأْخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ ويخرجُ منه كأطيبِ نفحةِ مِسكٍ وُجدت على وجهِ الأرضِ ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرونَ على ملأٍ (١٠) منَ الملائكةِ إلاَّ قالوا : ما هذا الروحُ الطيِّبُ ؟ فيقولون : فلانُ ابنُ فلانٍ بأحسنِ أسمائهِ التي كان يُسمى

(٧) اللَّحد : هو الشق الذي يكون في قبلة القبر موضع الميت .

(٨) ينكُت : أي يضرب بطرفه الأرض ضرباً يؤثر فيها .

(٩) الحنوط : طيبٌ يخلط للميت خاصة تكون له رائحة طيبة .

(١٠) ملأ : أي جماعة .

بها في الدنيا حتى ينتهُوا بها إلى السماء الدنيا فَيَسْتَفْتِحون له فيُفْتَحُ له فيُشيعه من كلِّ سماءٍ مُقَربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعةِ فيقول الله عزوجلَّ: اكتبوا كتابَ عبدِي في عِلِّين(١١) وأعيدوه إلى الأرضِ في جسدِهِ، فيأتيهِ مَلَكان فيُجْلِسانِهِ فيقولان: من ربُّك؟ فيقول: ربيَّ الله، فيقولان: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يُدريك؟ فيقول قرأت كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدَّقته، فينادي مُنادٍ منَ السماء: أن قد صدَقَ عبدِي فأفرِشوهُ من الجنَّة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوحِها وطيبِها ويُفسحُ له في قبره مَدَّ بصرِهِ، قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ الثيابِ، طيِّبُ الرِّيحِ فيقول: أبْشِر بالذي يَسُرُّكَ هذا يومُكَ الذي كنتَ توعدُ فيقولُ له: من أنتَ فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: ربِّ أقِمِ الساعَةَ ربِّ أقِمِ الساعَةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ منَ

---

(١١) عِلِّيون: من العلو وقيل: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين.

الآخرةِ نَزَلَ إليهِ ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهُمُ المُسوح (١٢) فيجلسون منه مدَّ البصرِ ثم يجيء ملك الموتِ (١٣) حتى يجلسَ عند رأسهِ فيقول : أيتها النفسُ الخبيثةُ أخرجي إلى سخطٍ من اللهِ وغضب فتفرَّقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما يُنتزعُ السُّفودُ (١٤) من الصُّوفِ المبلول فيأخذُها فإذا أخذَها لم يدعُوها في يدهِ طَرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوحِ ويخرجُ منها كأنتنِ جيفةٍ وُجدت على وجهِ الأرض فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الخبيثة ؟ فيقولون : فلانُ ابن فلانٍ بأقبحِ أسمائهِ التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيُستفتحُ فلا يُفتَحُ له ، ثم قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (لا تُفتَّحُ لهُمْ أبوابُ السَّماءِ وَلاَ يَدْخلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سِجِّين (١٥) في الأرض السُّفلى ثم تطرحُ روحُهُ طرحاً ثم قرأ (ومن يُشْرِكْ باللهِ فكأنَّما خَرَّ من السماءِ فتخطَفُهُ الطَّيرُ أو تَهْوِي بِهِ الريحُ في مكانٍ سَحِيْقٍ) فتعادُ روحه في جسده ويأتيهِ ملكانِ فيُجلِسانه فيقولانِ له : من رَبُّك ؟ فيقول :

(١٢) المسوح : جمع مسح وهو كساء من الشعر .

(١٣) لم يأت في السنة الصحيحة أن إسم ملك الموت عزرائيل ولعله من الاسرائيليات .

(١٤) السفود : حديدة ذات شعب معقفــة .

(١٥) سجين : أي في سجن وضيق .

هاهْ هاهْ لا أدري قال : فيقولان له : ما دينُكَ ؟ فيقول : هاهْ هاهْ لا أدرِي قال فيقولان له : ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاهْ هاهْ لا أَدرِي فينادِي منادٍ منَ السماء : أنْ كَذَبَ فأَفرِشُوْهُ من النارِ وافتحوا لهُ باباً إلى النَّار ، فيأْتيه من حرِّها وَسمومِها ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ حتى تختلِفَ فيه أضلاعُه ويأْتيه رجلٌ قَبيحُ الوجهِ قَبيحُ الثيابِ منتنُ الرِّيحِ فيقول : أبشِرْ بالذي يسوؤك هذا يومُكَ الذي كنتَ توعد ، فيقول : منْ أنتَ فوجهُكَ الوجهُ القبيح يجيءُ بالشَّرِّ ؟ فيقول : أنا عملُكَ الخبيثُ ، فيقول : ربِّ لا تُقِمِ الساعَةَ » رواه أحمد (١٦) وأبو داود (١٧) والحاكم (١٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقرَّه الذهبي والألباني (١٩) .

سؤالُ المَلَكَيْن :

٢ – وعن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قال : قال نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابُه ، إنَّهُ لَيسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِم قال : يأْتيه مَلَكانِ فيُقعِدَانه

(١٦) المسند ٢٨٧/٤
(١٧) السنن ٥٤٠/٢ .
(١٨) المستدرك ٣٧/١
(١٩) أحكام الجنائز ١٥٩

فيقولان له : ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ ؟ قال فأمّا المؤمنُ فيقول : أشهدُ أنَّهُ عبدُ اللهِ ورسولُه ، قال فيُقالُ له : انظُرْ إلى مقعدِكَ من النار قد أبدلك الله بهِ مقعداً من الجنة » قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « فيراهما جميعا » قال قتادة : وذُكِرَ لنا أنه يُفسَحُ له في قبرِهِ سبعون ذِراعاً ويُملأُ عليه خَضِراً إلى يوم يبعثون ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : « وأمّا المنافقُ والكافرُ فيُقال له : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ ؟ فيقول : لا أدْري كنتُ أقولُ ما يقولُه الناسُ فيُقال : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ويُضْرَبُ بمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَربةً فيصيحُ صَيْحةً يسمعها من يَليهِ غيرَ الثَّقَلَين » (٢٠) متفق عليه (٢١) .

المنكر والنكير حق :

٣ – وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قُبِرَ الميِّتُ أو قال : أحدُكم أتاه مَلَكان أسْوَدانِ أزرقانِ (٢٢) يُقال لأحدهما المنكرُ وللآخر النَّكِيرُ فيقولان : ما كُنْتَ تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبدُاللهِ ورسولُه ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحمداً عبدُه

(٢٠) الثقلان : الجن والإنس .

(٢١) الفتح ٣/٤٨٠ ومسلم ٢٢٠٠

(٢٢) أي أعينهما لما لهذه الصفة من الهول على المقبور .

ورسولُه ، فيقولان : قد كنا نعلَمُ أنك تقول هذا ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم يُنَوَّرُ له فيه . ثم يقال له : نم فيقول : أرجع إلى أهلي فأُخبِرُهُم فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقِظه إلا أحبُّ أهلِه إليه حتى يبْعثَهُ اللهُ من مَضجَعِهِ ذلِكَ ، وإن كانَ منافقاً قال : سمعتُ الناسَ يقولونَ قولاً فقلت مثله ، لا أدري فيقولان : قد كنا نعلمُ أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه فتلتئِمُ عليه فتختلفُ فيها أضلاعُه (٢٣) فلا يزالُ فيها مُعَذَّباً حتى يبعَثَهُ اللهُ من مضجَعِهِ ذلك » رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب (٢٤) وقال الألباني : سنده حسن وهو على شرط مسلم (٢٥) .

ضغطة القبر وضمته :

٤ – وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبرِ ضغطةً لو كان أحدٌ ناجياً منها نجا سعدُ بنُ معاذ » رواه أحمد (٢٦) وصححه الألباني (٢٧) .

---

(٢٣) أي : يتداخل بعضها في بعض .

(٢٤) السنن ٤ / ٢٩١ .

(٢٥) المشكاة ٤٧/١

(٢٦) المسند ٩٨/٦ .

(٢٧) صحيح الجامع ٢٣٦/٢ .

صورٌ من عذابِ البَرْزَخِ :

٥ – وعن سمرةَ بن جندب رضي اللهُ عنه قال : كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم مما يُكثِرُ أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا » ؟ فَيَقُصُّ عليه مَنْ شاء اللهُ أن يَقُصَّ وإنه قال لنا ذاتَ غَداةٍ : « إنَّه أتاني الليلَةَ آتيانِ ، وإنهما ابتعثاني . وإنهما قالا لي : انْطَلِقْ وإني انطلقتُ مَعَهما ، وإنَّا أتينا على رجلٍ مُضْطَجعٍ ، وإذا آخرُ قائمٌ عليهِ بصخرةٍ وإذا هوَ يَهوِي بالصخرةِ لِرأسِهِ فَيَثْلَغُ (٢٨) رَأْسَهُ ، فَيَتَدَهْدَهُ (٢٩) الحجرُ ها هُنا فَيَتْبعُ الحجرَ فَيأْخذُهُ ، فلا يَرجعُ إليهِ حتى يَصِحَّ رأْسُه كما كان ، ثم يعودُ عليهِ فيفعلُ بهِ مثلَ ما فعلَ المرَّةَ الأولى ، قال : قلتُ لهما : سُبحانَ اللهِ ما هَذان ؟ قال : قالا لي : انطلق قال : فانطلقنا فأتينا على رَجُلٍ مستلقٍ لِقَفَاهُ ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليهِ بكَلُّوبٍ (٣٠) من حديد ، وإذا هو يأْتي أَحدَ شِقَّي وجهِهِ فَيُشَرْشِرُ (٣١) شِدقهُ إلى قفاهُ ومنخِرهُ إلى قَفاه ، وعينَهُ إلى قَفاهُ ، قال : وربما قال أَبو رَجاء : فيشُقُّ ، قال : ثم يتحولُ إلى الجانبِ الآخَرِ فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ بالجانبِ

---

(٢٨) أي يشدخ .

(٢٩) أي يتدحرج .

(٣٠) الكلوب : حديدة معوجة الرأس .

(٣١) أي يشق

الأولِ ، فما يَفرُغُ من ذلكَ الجانبِ حتى يَصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان ، ثم يعودُ عليهِ فيفعلُ مثلَ ما فعلَ المرةَ الأولى . قال : قلت : سبحانَ اللهِ ما هذان ؟ قال : قالا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التَّنُّورِ . قال : وأحسبُ أنه كان يقول : فإذا فيه لَغَطٌ (٣٢) وأصواتٌ قال : فاطَّلعنا فيهِ . فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوا (٣٣) ، قال : قلت لهما : ما هؤلاء ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق ، قال : فانطلقنا فأتينا على نهرٍ حسِبْتُ أنه كان يقولُ . أحْمَرَ مثلِ الدَّمِ ، وإذا في النهرِ رجلٌ سابحٌ يَسْبَحُ . وإذا على شطِّ النهرِ رجلٌ قد جَمَعَ عندهُ حجارةً كثيرةً وإذا ذلكَ السابحُ يسبحُ ، ثم يأتي ذلكَ الذي قد جَمعَ عندهُ الحجارةَ فَيَفْغَرُ له فاهُ (٣٤) ، فيُلقِمَهُ حَجَراً ، فينطلقُ يَسبحُ ، ثم يرجعُ إليهِ ، كلما رَجَعَ إليه فَغَرَ فاهُ فألقمهُ حجراً . قال : قلت لهما : ما هذان ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجلٍ كريهِ المرآةِ كأكرهِ ما أنتَ راءٍ رجلاً مرآةً ، وإذا عندهُ نارٌ يَحُشُّها (٣٥) ويَسعى حولها .

(٣٢) أي صخب .
(٣٣) أي صاحوا فزعين .
(٣٤) أي يفتح فمه .
(٣٥) أي يوقدها .

قال : قلت لهما : ما هذا ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة مُعْتَمَّةٍ (٣٦) فيها من كل نَوْرِ (٣٧) الربيع ، وإذا بينَ ظَهْرَي الروضةِ رجلٌ طويلٌ لا أُكادُ أرى رأْسَهُ طولاً في السماء ، وإذا حولَ الرجلِ من أكثرِ ولدانٍ رأيتُهم قط قال : قلتُ لهما : ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق قال : فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمةٍ لم أر روضةً قطُّ أعظمَ منها ولا أحسن ، قال : قالا لي : ارقَ ، فارتقيتُ فيها قال : فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ ولَبِنِ فِضَّة ، فأتينا بابَ المدينةِ فاستفتحنا ففُتِحَ لنا ، فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شَطْرٌ من خَلقِهم كأحسنِ ما أنتَ راءٍ ، وشطرٌ كأقبحِ ما أنتَ راءٍ ، قال : قالا لهم : اذهَبوا فقَعوا في ذلك النَّهرِ ، قال : وإذا نَهرٌ معترضٌ يجري كأنَّ ماءَهُ المحضُ (٣٨) في البَياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رَجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ عنهم ، فصاروا في أحسنِ صورةٍ ، قال : قالا لي : هذه جنةُ عَدْنٍ وهذاك منزِلك ، قال : فسَمَا بصري صُعُدًا ، فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبَابَةِ (٣٩) البيضاء قال : قالا لي : هذاك منزلك .

---

(٣٦) أي طويلة النبات .

(٣٧) أي زهر .

(٣٨) أي الخالص .

(٣٩) الربابة : أي السحابة البيضاء .

قال : قلت لهما : بارك اللهُ فيكما ذراني فأدخُلَهُ قالا : أما الآن فلا ، وأنتَ داخِلُه ، قال : قلت لهما : فإني قد رأَيتُ منذُ الليلةِ عجباً فما هذا الذي رأَيتُ ؟ قال : قالا لي : إنا سنُخبرك ، أما الرجل الأول الذي أتيتَ عَليه يُثلغ رأْسُه بالحجرِ فإنه الرجلُ يأْخذُ القرآنَ فيرفضُه وينامُ عن الصلاةِ المكتوبةِ ، وأما الرجلُ الذي أتيتَ علَيه يُشَرْشَرُ شدقهُ إلى قفاه ، ومَنْخِرُهُ وعينهُ إلى قفاه فإنه الرجلُ يغدو من بيتِهِ فيكذبُ الكَذْبَةَ تبلُغُ الآفاقَ ، وأما الرجالُ والنِساءُ العراةُ الذينَ في مثلِ بناء التنورِ فهمُ الزُّناةُ والزواني ، وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يَسبحُ في النهرِ ويُلقمُ الحجرَ ، فإنه آكلُ الرِّباَ ، وأما الرجلُ الكريهُ المَرآةِ الذي عندَ النارِ يَحُشُّهاَ ويَسعى حولَها فإنَّهُ مالكٌ خازِنُ جهنم ، وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضةِ فإنه إبراهيمُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأما الولدانُ الذين حولهُ فكلٌّ مولودٍ ماتَ على الفطرةِ » قال : فقال بعضُ المسلمينَ : يا رسولَ اللهِ ، وأولادُ المشركين ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « وأولادُ المشركينَ ، وأما القومُ الذينَ كانوا شطرٌ منهم حسناً وشطرٌ قبيحاً ، فإنهم قومٌ خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً تجاوزَ الله عنهم »

رواه البخاري (٤٠) ووقع التصريح بعذاب البرزخ في رواية أُخرى عندَ البخاري قال : «أما الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شِدقهُ فكذابٌ يُحدِّثُ بالكَذِبَةِ فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيُصنعُ به ما رأيتَ إلى يومِ القيامةِ ، والذي رأيته يُشدخُ رأْسهُ فرجلٌ علَّمه الله القرآن فنامَ عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهارِ يفعلُ به إلى يوم القيامة ...» (٤١) .

٦ – وعن أنس بْنِ مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما عَرَجَ بي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يَخمِشونَ وجوهَهُمْ وصُدورَهُمْ فقلتُ : من هؤلاءِ يا جبريلُ ؟ قالَ : هؤلاءِ الذينَ يأْكُلونَ لُحومَ الناسِ ويقعونَ في أعراضِهِمْ» رواه أحمد (٤٢) وصَححه الألباني (٤٣) .

أقوال السَّلف في عذاب القبر :

قال شيخُ الإسلامِ ابنْ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ : مذهبُ سلفِ الأمةِ وأئمتها أن الميِّتَ إذا مات يكون في نعيمٍ أو عَذاب وأن

(٤٠) الفتح ٩٩/١٦ .
(٤١) الفتح ٤٩٥/٣ .
(٤٢) المسند ٢٢٤/٣ .
(٤٣) صحيح الجامع الصغير ٥١٠٥ .

ذلكَ يحصل لروحه ولـبَـدَنِـهِ وأن الروحَ تبقى بعد مفارقةِ البدن منعمةً أو معذبةً وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يومُ القيامةِ الكبرى أُعيدت الأرواحُ إلى أجسادِها وقاموا من قبورِهم لربِ العالمين (٤٤) وقال النووي رحمه الله : اعلم أن مذهبَ أهلِ السُّنةِ إثباتُ عذابِ القبرِ وقد تظاهرت عليه دلائلُ الكتابِ والسنةِ ، قال اللهُ تعالى (**النارُ يُعرضون عليها غدواً وعشيا**) وتظاهرت به الأحاديثُ الصحيحةُ عن النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَّم من روايةِ جماعةٍ من الصحابةِ في مواطنَ كثيرةٍ ولا يمتنعُ في العقلِ أن يُعيدَ اللهُ تعالى الحياةَ في جزءٍ من الجسدِ ويعذبَه ، وإذا لم يمنعْهُ العقلُ وورَدَ الشرعُ به وجبَ قَـبُـولُـهُ واعتقادُه .

ثم قال : والمقصودُ أن مذهبَ أهلِ السنةِ إثباتُ عذابِ القبرِ كما ذكرنا خلافاً للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة الذين نفوا ذلك .

وقال أيضاً : ولا يمنع من ذلك – يعني عذاب القبر – كَـوْنُ الميتِ قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك فكما أن الله تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى

---

(٤٤) مجموع الفتاوي ٢٨٤/٤ .

جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان ، فإن قيل : فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويُضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر ؟ فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذةً وآلاماً لا نُحِسُّ نحن شيئاً منها وكذا يجد اليقظان لذة وألما لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسُه منه ، وكذا كان جبريل عليه السلام يأتي النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جليّ والله أعلم . انتهى ملخصاً (٤٥) .

بيان مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة وتفاوتها فيه :

قال ابن القيم رحمه الله : والأرواح متفاوتةٌ في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ؛

• فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء .

• ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم . بل من الشهداء من تُحبس روحه عن دخول الجنة لِدَين عليه أو غيره

(٤٥) شرح مسلم ١٧/٢٠٠ .

كما في المسند عن محمد بن عبدالله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله مالي إن قُتلت في سبيل الله ؟ قال : « الجنة » فلما ولى قال : « إلا الدَّين سارني به جبريل آنفاً » .

• ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر : « رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة » .

• ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره » .

• ومنهم من يكونُ مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس : « الشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنة في قبةٍ خضراء يخرج عليهم رزقُهم من الجنة بكرةً وعشية » رواه أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء .

• ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعلُ روحُه إلى الملإِ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا ،

والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنسَ به والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك ، كما أن النفس العلويةَ التي كانت في الدنيا عاكفةً على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنسِ به تكون بعد المفارقةِ مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرءُ مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد وَيَجْعَلُ روحه (يعني المؤمن) مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة ؛ فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها أرواحٌ تكون في تنورِ الزناةِ والزواني ، وأرواحٌ في نهرِ الدمِ تسبح فيه وتُلقمُ الحجارةَ ، فليس للأرواح سعيدُها وشقيُّها مستقرٌ واحدٌ ، بل روحٌ في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

ثم قال رحمه الله : وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق يصدِّق بعضُها بعضاً ، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن ، وأنها مع كونها في الجنة

فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه ، وهي أسرع شيء حركةً وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً وأنها تنقسم إلى مرسلةٍ ومحبوسةٍ وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرضٌ ولذةٌ ونعيمٌ وألمٌ أعظمُ مما كان لها حالَ اتصالها بالبدن بكثير . فهنالك الحبسُ والألمُ والعذابُ والمرضُ والحسرةُ ، وهنالك اللذةُ والراحةُ والنعيمُ والإطلاقُ وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أُمه وحالها بعد المفارقة بحالهِ بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار ، فلهذه الأنفسِ أربعُ دورٍ كلُّ دارٍ أعظم من التي قبلها .

• الدار الأُولى في بطن الأُم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث .

• والدار الثانيةُ هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير الشر وأسباب السعادة الشقاوة .

• والدارُ الثالثةُ دارُ البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأُولى .

• والدارُ الرابعةُ دارُ القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خُلقت لها

وهُيِّئت للعمل الموصل إليها ، ولها في كل دار من هذه الدور حُكْمٌ وشأن غير شأن الدار الأُخرى ، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومُميتها ومُحييها ومُسعِدُها ومُشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها ، فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يُرجَعُ الأَمرُ كلُّه وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله وأن الذي جاؤا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتُقِر به الفِطر وما خالفه هو الباطل وبالله التوفيق (٤٦) .



(٤٦) الروح ١١٥/١١٧ .

قيام الساعة

فإذا اقتربَ الوعدُ الحقُّ أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلْمَلَكَ الموكل بالنفخِ في الصُور (٤٧) فنفخ فيه نفخةً واحدةً ، فحملت الأرضُ والجبالُ فدكتا دكةً واحدةً ، وتشققت السماءُ ، وتناثرت الكواكبُ وطُمِست النجومُ فذهب ضوءُها وفجرت البحارُ وصعق (٤٨) أشرارُ الناسِ لِمَا ظهرَ لهم من أهوالِ يوم القيامة وزلازلها وأحوالهَا فقد عاينو ما يوعدون وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهاَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهاَ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) .

وقال الله تبارك وتعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . وَٱنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (٤٩) . والمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهاَ (٥٠) وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُوْنَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

(٤٧) الصور : قرن ينفخ فيه وهو كهيئة البوق .
(٤٨) صعق : أي مات .
(٤٩) أي منخرقة .
(٥٠) أي على حافاتها وأطرافها .

وقالَ اللهُ جلَّ ثناؤه (إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ . وَإِذَا الكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ . وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) .

وقالَ الله جلَّت قدرتهُ (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ . فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٥١) . وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ . وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (٥٢) . لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) .

وقالَ اللهُ تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ (٥٣) فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً . فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (٥٤) . لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً (٥٥) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ (٥٦) وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً) .

وقالَ اللهُ جلَّ ذِكْرُهُ (يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ والجِبَالُ

---

(٥١) أي انفطرت ووهت .

(٥٢) أي جمعت ليوم الفصل .

(٥٣) أي هل تبقى يوم القيامة أم تزول ؟

(٥٤) أي أرضاً مستوية .

(٥٥) أي لا ترى في الأرض يومئذٍ وادياً ولا ربوةً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً .

(٥٦) أي لا عوج عنه .

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً) (٥٧) .

وقالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً (٥٨) وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً . وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) .

قيامُ الساعةِ على شِرارِ الناس :

٧ – عن عبدِاللهِ بْنِ عمرو بن العاص رَضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « يَخرُجُ الدجالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أربعينَ – لا أدري أربعينَ يوماً أو أربعينَ شهراً أو أربعينَ عاماً – فيبعثُ اللهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنَّهُ عروةُ بنُ مسعودٍ فَيَطْلُبُهُ فيُهلكُهُ ثم يَمكثُ الناسُ سبعَ سنينَ ليسَ بين اثنينِ عداوةٌ ، ثم يُرْسِلُ اللهُ ريحاً باردةً من قِبَلِ الشامِ فلا يَبقى على وجهِ الأَرْضِ أحدٌ في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من خيرٍ أو

(٥٧) أي تصير مثل كثيب الرمل بعدما كانت حجارة صماء .

(٥٨) أي ظاهرةً جلية ليس فيها معلم لأحد .

إيمانٍ إلا قبضتهُ حتى لو أن أحدَكُمْ دخلَ في كبد جبلٍ لَدَخَلَتْهُ عليهِ حتى تقبضَهُ »قال : سمعتها من رسولِ الله صلى الله عليهِ وسلم قال : « فيبقى شرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ (٥٩) لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثلُ لهم الشيطانُ فيقولُ : ألا تستجيبون ؟ فيقولونَ : فما تأمرنا ؟ فيأمُرُهم بعبادةِ الأوثانِ ، وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم حَسَنٌ عيشُهم ثم يُنفخُ في الصُّورِ فلا يسمعُه أحدٌ إلا أصغى ليتاً (٦٠) ورفع ليتاً قال : وأولُ من يسمعهُ رجلٌ يلوطُ (٦١) حوضَ إبلِه فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ الناسُ ، ثم يرسِلُ اللهُ – أو قالَ ينزلُ اللهُ – مطرًا كأنَّهُ الطلُّ أو الظِّلُّ – نعمانُ الشاكُّ – فَتَنبُتُ منه أجسادُ الناسِ ثم يُنفخُ فيهِ أُخرى فإذا هم قيامٌ يَنظرون ، ثم يقال : يا أيها الناسُ هَلُمَّ إلى ربِّكم . وقِفُوهُمْ إنَّـهُمْ مَسْؤُلُوْنَ . قالَ : ثم يقالُ : أخرِجوا بعثَ النار فيقال : من كم ؟ فيقال : من كُلِّ ألفٍ تِسْعَمائَةٍ وتِسعَةً وتِسْعِينَ ، قال : فذاكَ يومَ يجعلُ الولدانَ شيباً وذلكَ يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ » رواه مسلم (٦٢) .

---

(٥٩) أي في سرعتهم إلى الشر والظلم والعدوان .

(٦٠) الليت : صفحة العنق .

(٦١) يلوط حوضه : أي يطينه ويصلحه .

(٦٢) مسلم ٢٢٥٨ .

هَذا بِالحَقِّ (٧٧) قالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قالَ فَذُوقُوا العذابَ بما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . قد خَسِرَ الذينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حتىٰ إِذَا جاءَتْهُمُ الساعةُ بَغتةً قالوا يا حسرتَنَا على ما فَرَّطْنَا فيها وهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ أَلاَ ساءَ ما يَزِرُونَ . وما الحياةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفلا تَعْقِلُونَ) .

وقالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىَ (ويلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ . انْطَلِقُوا إلىَ ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثلاثِ شُعَبْ (٧٨) . لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِي منَ اللَّهَبِ (٧٩) . إِنها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ (٨٠) . كأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٨١) . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) .

---

(٧٧) أي اليس ما وعدكم الرسل من أمر البعث بحق .

(٧٨) يعني لهب النار إذا ارتفع بدخانه فن شدته أن له ثلاث شعب .

(٧٩) يعني ظل الدخان لا ظليل هو في نفسه ولا يقيهم حر اللهب .

(٨٠) أي كالحصون .

(٨١) قيل في معناه : أي كالإبل السود ، وقيل : يعني جبال السفن ، وقيل : قطع نحاس والله أعلم .

قبضُ السماواتِ والأرضين :

ثم يقبض الجبار سماواته بيده اليمنى وأرضيه بيده الأخرى ثم يقول : أنا المَلِكُ . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ والسَّماواتُ مطوياتٌ بِيمينِهِ سبحانَهُ وتَعالىَ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

وقالَ تَعالىَ (يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ) أي كطي السجل لما هو مكتوب فيه .

٩ - وعن أبي هُريرةَ رَضي اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ ويَطوِي السماءَ بيمينِهِ ثم يقولُ : أنا المَلِكُ أينَ ملوكُ الأرضِ » متفق عليه (٨٢) .

١٠ - وعن عبدِاللهِ بْنِ عمرَ رَضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « يطوِي اللهُ عزَّ وجلَّ السماواتِ يومَ القيامةِ ثم يأخذُهنَّ بيدهِ اليمنى ثم يقولُ : أنا المَلِكُ أين الجبارونَ ؟ أين المتكبرونَ ؟ ثم يَطْوِي الأرضينَ بِشِمالِه ثم

---

(٨٢) الفتح ١٤/١٦٠ ومسلم ٢١٤٨ .

يقولُ : أنا المَلِكُ . أينَ الجبارونَ ؟ أينَ المتكبِّرونَ ؟ » رواه مسلم (٨٣) .

١١ – وعن عُبيدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ أنه نَظَرَ إلى عبدِ اللهِ بن عُمَرَ كيفَ يَحكي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « يأخُذُ اللهُ عزَّ وجلَّ سماواتِهِ وأرضيهِ بيدَيْهِ فيقولُ : أنا اللهُ – ويقبض أصابعَهُ ويبسُطُها – أنا المَلِكُ » حتى نظرتُ إلى المِنْبَرِ يتحركُ مِنْ أسفلِ شيءٍ منهُ حتى إني لأقولُ : أساقطٌ هُوَ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؟ رواه مسلم (٨٤) .

صفة أرض الحشر :

١٢ – عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ (٨٥) كَقُرصَةِ النَّقِيِّ (٨٦) ليسَ فيها عَلَمٌ لأحد » رواه مسلم (٨٧) .

---

(٨٣) مسلم ٢١٤٨ .

(٨٤) مسلم ٢١٤٩ .

(٨٥) عفراء : أي بيضاء إلى حمرة ليست ناصعة البياض .

(٨٦) قرصة النقي : أي قرص الدقيق النقي من الغش والنخال

(٨٧) مسلم ٢١٥٠ .

يُحشر الناس يومئذ مشاة حفاة عراة غُرْلا :

١٣ - عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ : « يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلا (٨٨) » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، النساءُ والرجالُ جميعاً يَنظرُ بعضُهم إلى بعضٍ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « يا عائشةُ الأمرُ أَشَدُّ من أن ينظُرَ بعضُهُمْ إلى بعضٍ » متفق عليه (٨٩) .

يُحشر الكفار على وجوههم :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (ومن أَعْرَضَ عن ذِكْرِي فإنَّ لهُ مَعِيْشَةً ضَنْكًا (٩٠) وَنَحْشُرُهُ يومَ القيامةِ أَعْمىٰ . قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قالَ كذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنَا فَنَسِيْتَهاَ وكذلِكَ اليومَ تُنْسَى) .

وقالَ اللهُ تَعالىَ (وَنَحْشُرُهُمْ يومَ القيامةِ على وُجُوهِهِمْ

---

(٨٨) غرلا : أي غير مختونين .

(٨٩) الفتح ١٧٦/١٤ ومسلم ٢١٩٤ .

(٩٠) أي لاطمأنينة فيها ولا انشراح بل صدره ضيق وإن أوتي من كل شيء لما يشعر به من الخوف من البعث والحساب هذا وهو به مرتاب شاك متردد بين التصديق والتكذيب وهذا حق العذاب .

عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً مأْواهُمْ جهنَّمُ كُلَّماً خبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيْراً) .

١٤ – وعن أنس بْنِ مالك رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَجُلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكافِرُ على وجهِهِ يومَ القيامَةِ ؟ قالَ : « أليسَ الذي أمشاهُ على رِجليهِ في الدُّنيا قادِراً على أن يُمْشِيَهُ على وجهِهِ يومَ القيامَةِ » ؟ قال قَتادةُ : بَلى وَعزَّةِ ربِّنا . متفق عليه (٩١) .

دُنُوُّ الشمسِ من الخلائقِ وما يكونُ من العَرَقِ :

١٥ – عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « يَعْرَقُ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يَذْهَبَ عَرقهُم في الأرضِ سبعينَ ذِراعاً ويُلْجِمُهُم حتى يَبْلُغَ آذانَهُمْ » متفق عليه (٩٢) .

١٦ – وعن المقدادِ بنِ الأسودِ رضي اللهُ عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : تُدْنَى الشَّمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ حتى تكونَ منهم كمقدارِ مِيل » قال سُلَيْمُ بنُ عامِرٍ : فواللهِ ما أدري ما يَعْنِي بالميلِ ؟ أمسافَةَ الأرضِ

---

(٩١) الفتح ١٤/١٧٠ ومسلم ٢١٦١ .

(٩٢) الفتح ١٤/١٨٥ ومسلم ٢١٩٦ .

أم الميلَ الذي تُكْتَحَلُ به العينُ . قال : « فيكونُ الناسُ على قَدْرِ أعمالِهِم في العَرقِ ، فمنهم من يكونُ إلى كَعْبَيْهِ ومنهم من يكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ ومنهُم من يكونُ إلى حَقْوَيْهِ (٩٣) ومنهم من يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجاماً (٩٤) » رواه مسلم (٩٥) .

فَتَفَكَّرْ يا عبدَالله في الخلائقِ وذُلِّهم وانكسارِهم في ذلك اليومِ الطويل خوفاً وانتظاراً لَمَا يُقْضَى عليهم من سعادة أو شقاوة ، فكيف بك يا عبدَالله في ذلك اليوم وقد لفَظَكَ القبرُ بعد طولِ بلاء فنظرت في عملك الذي قدَّمْتَ فلم تجد إلا ريبة في البعثِ وشربا للخمر ولهوا وزنا كثيرا ولعبا للقمار ووقوعا في أعراضِ الناس وغيبة ونميمة وأكلَ لموالِ بالباطلِ وموالاةً للملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واستهزاء ومحاربة للمؤمنين المتمسكين بالكتاب والسنة ، ألا فاتق الله ربك وارفق بنفسك .

الإتيان يومئذ بجهنم :

قالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا .

(٩٣) الحقو : أي الخصر ومعقد الإزار من الجنب .

(٩٤) أي يصل إلى أفواههم .

(٩٥) مسلم ٢١٩٦

وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا. وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتذكرُ الإنسانُ وأنَّى لَهُ الذِّكْرَى. يقولُ يا لَيتني قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) .

١٧ – وعن عبدالله بْنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « يُؤْتَى بجهنَّمَ يَوْمَئِذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ (٩٦) ، مَعَ كُلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها » رواه مسلم (٩٧) .

الذين يُظِلُّهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

١٨ – عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إن اللهَ يقولُ يومَ القيامَةِ : أين المُتحابُّونَ بجلالي (٩٨) اليومَ أُظِلُّهُم في ظِلِّي (٩٩) يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي » رواه مسلم (١٠٠) .

١٩ – وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ

---

(٩٦) الزمام : ما زم به والجمع أزمة وهي الحبال .

(٩٧) مسلم ٢١٨٤ .

(٩٨) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا .

(٩٩) أي في ظل العرش يوم القيامة .

(١٠٠) مسلم ١٩٨٨ .

عليه وسلم قالَ : « سبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّهُ : إمام عَدْلٌ (١٠١) ، وشابٌ نَشأ في عبادةِ اللهِ ، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المساجِدِ ، ورجلانِ تحابَّا في اللهِ ، اجتمعا عليهِ وتفرَّقَا عليهِ ، ورجلٌ دَعَتهُ امرأةٌ ذاتُ منصِبٍ وجَمالٍ فقالَ : إني أخافُ اللهَ ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شِمالُهُ ما تنفِقُ يمينُهُ ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناهُ » متفق عليه (١٠٢) .

٢٠- وعن أبي اليَسَرِ كعب بن عمرو رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « من أنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عنهُ أظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّه » رواه مسلم (١٠٣) .

٢١ - وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سَمِعَ عقبةَ بن عامر يقول : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « كُلُّ امرِئٍ في ظِلِّ صدقتِهِ حتى يُفصلُ بينَ الناس » أو قال « يُحكَمُ بين الناس » قال يزيد وكان أبو الخير لا يَخطِئُهُ يومٌ إلا تصدَّقَ فيه بشيءٍ ولو كعكةَ أو بصلة أو كذا .

---

(١٠١) أي إمام عادل .

(١٠٢) الفتح ٣٥/٤ ومسلم ٧١٥ .

(١٠٣) مسلم ٢٣٠٢ .

رواه أحمد (١٠٤) وصححه الألباني (١٠٥) .

أول من يُدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار :

٢٢ - عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « أَوَّلُ من يُدْعَى يومَ القيامةِ آدمُ فتراءى ذُرِّيَّتُهُ(١٠٦) فيقالُ : هذا أبوكُمْ آدَمُ فيقولُ : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ فيقولُ : أخرِجْ بَعْثَ(١٠٧) جهنَّمَ من ذُرِّيَّتِكَ فيقولُ : يا رَبِّ كم أُخْرِجُ ؟ فيقولُ : أَخْرِجْ من كُلِّ مائَةٍ تِسعَةً وتِسْعينَ » فقالوا : يا رسولَ اللهِ إذا أُخِذَ مِنَّا كل مِائَةٍ تسعةٌ وتِسعونَ فماذا يبقى مِنَّا ؟ قال : « إنَّ أُمَّتِي في الأُمَمِ كالشَّعرةِ البيضاء في الثورِ الأسودِ » رواه البخاري (١٠٨) .

٢٣ - وعن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : يا آدَمُ ، فيقولَ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخيرُ في يَدَيْكَ ، قالَ يقولُ :

---

(١٠٤) المسند ١٤٧/٤ .

(١٠٥) صحيح الجامع ١٧٠/٤ .

(١٠٦) أي تنظر اليه وتتمكن من رؤيته .

(١٠٧) البعث : بمعنى المبعوث وأصلها من السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها .

(١٠٨) الفتح ١٧٨/١٤ .

أخرِجْ بَعْثَ النارِ ، قال : وما بعثُ النَّارِ ؟ قال : من كلِّ ألفٍ تِسعمِائَةٍ وتِسْعَةٍ وتِسعينَ ، قالَ : فذاكَ حينَ يَشِيْبُ الصغيرُ وتضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وترى الناسَ سُكارى وما هم بِسُكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديد » قال : فاشتدَّ ذلكَ عليهِم قالوا : يا رسولَ اللهِ أيُّنا ذلكَ الرجلُ ؟ فقالَ : « والذي نَفْسي بيدِهِ إني لأطمعُ أن تكونوا رُبع أهلِ الجنَّةِ » فحَمَدْنا اللهَ وكَبَّرْنا ثمَّ قال : « والذي نَفْسي بيدِهِ إنِّي لأطمعُ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّةِ » فحَمَدْنا اللهَ وكبَّرنا ثمَّ قال : « والذي نَفْسي بيدِهِ إنِّي لأطمَعُ أن تكونوا شَطْرَ(١٠٩) أهلِ الجنَّةِ ، إنَّ مَثَلَكُمْ في الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ البيضاء في جِلْدِ الثَّورِ الأسودِ أو كالرَّقْمَةِ(١١٠) في ذِراعِ الحمارِ » متفقٌ عليه(١١١) .

فائدة : تقدَّمَ في الحديثِ الذي قبله « أخرج من كلِّ مائة تسعة وتسعين » وفي هذا الحديث « من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » وقد أُجيبَ عن هذا الإشكالِ بأجوبةٍ منها حملُ حديث أبي سعيد على جميعِ ذريةِ آدمَ فيكونُ من كلِّ ألفٍ واحدٌ

---

(١٠٩) أي نصف .

(١١٠) الرقمة : قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع

(١١١) الفتح ١٤/١٧٩ ومسلم ٢٠١ .

وحمل حديث أبي هريرة على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرةٌ ، ومنها أن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق أجمعين وأن حديثَ أبي هريرة يتعلقُ بهذه الأمةِ خاصةً . أما بعثُ النارِ فالله أعلم بهم : هل هم كفارٌ أجمعون أم يختلط بهم من عصاةِ الأمةِ أحدٌ ؟ العلم عند الله تعالى .

عذاب مانع الزكاة يومئذ :

قال اللهُ تعالىَ (ولا يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهُمُ اللهُ من فضلِهِ هو خيراً لهم بلْ هُوَ شَرٌّ لهمَ سيُطَوَّقون ما بَخِلُوا به يومَ القيامَةِ ولله ميراثُ السماواتِ والأرْضِ واللهُ بما تعملون خبير) .

وقال اللهُ جَلَّ ذِكرُهُ (والذين يَكْنِزُونَ الذهبَ والفضَّةَ ولا يُنفِقُونَها في سبيلِ اللهِ فبَشِّرهُمْ بعذابٍ أليم . يومَ يُحْمَى عَلَيْهاَ في نارِ جَهَنَّمَ فتُكوى بِها جِباهُهُمْ وجُنوبُهُمْ وظُهورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنتُمْ تكنِزُون) .

٢٤ – وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « من آتاهُ الله مالاً فلم يؤدِّ زكاتهُ مُثِّلَ

له مالهُ شجاعاً أَقْرَعَ (١١٢) له زَبِيبَتَانِ (١١٣) يُطَوَّقُهُ (١١٤) يَوْمَ القيامة يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يعنى بِشِدْقَيْهِ (١١٥) – يقولُ : أَنا مالُكَ أَنا كَنْزُكَ » ثم تلا هذه الآية (ولاَ يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلُونَ بما آتاهُمُ اللهُ من فضله) إلى آخرِ الآيةِ . رواه البخاري .

٢٥ – عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فِضَّةٍ لا يؤدِّي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامَةِ صُفِّحَتْ لهُ صفائحُ من نارٍ فأُحمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ فيُكوى بها جَنْبُهُ وجبينُهُ وظهرُهُ كلماَ بَرَدَتْ أُعيدَتْ لهُ في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حتى يُقضَى بينَ العبادِ فيُرَىْ سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النارِ » قيل : يا رسول الله . فالإبلُ ؟ قال : « ولا صاحِبُ إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها ومن حقِّها حَلْبُهَا يومَ وِرِدِهَا (١١٦) إلا إذا كانَ يَومُ القيامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ (١١٧) أَوْ فَرَمَا كانت

(١١٢) الشجاع : الحية الذكر ، والأقرع : الذي تمعَّطَ شعرُهُ لكثرة سمهِ .

(١١٣) هما الزبدتان اللتان في الشدقين ، وقيل : لحمتان على رأسه مثل القرنين .

(١١٤) أي يصير له ذلك الثعبان طوقاً .

(١١٥) الشدقان : هما العظمان الناتئان في اللحيين تحت الأذنين ، وفي الجامع : هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان .

(١١٦) أي يوم أوردها الماء .

(١١٧) قاع قرقر : أي أرض مستويه واسعة .

لا يفقِدُ منها فصيلاً (١١٨) واحداً ، تطؤُهُ بأخفافِها وتَعَضُّهُ بأفواهِهَا كلما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخراها (١١٩) في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حتى يُقْضي بين العبادِ فيُرى سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النَّارِ » قيل : يا رسولَ اللهِ ، فالبقرُ والغنمُ ؟ قال : « ولا صاحِبُ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدِّي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ لا يَفقِدُ منها شيئاً ، ليس فيها عقصاءُ ولا جلحاءُ ولا عضباءُ (١٢٠) تَنْطَحُهُ بقُرونِها وتَطؤُهُ بأظْلافِها كلما مَرَّ عليهِ أُولاها رُدَّ عليه أُخراها في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حَتى يُقضي بين العبادِ فيُرَى سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النَّارِ » رواه مسلم (١٢١) .

٢٦ – ورواه البخاري ومسلم أيضاً عن جابر بن عبدالله رضي اللهُ عنهما وفيه « ولا صاحبِ كنزٍ لا يفعلُ فيه حقَّهُ إلا جاء كنزُهُ يومَ القيامةِ شُجَاعاً أقرعَ (١٢٢) يتبَعُهُ فاتحاً فاهُ

(١١٨) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(١١٩) قال القاضي عياض : قالوا هو تغيير وتصحيف وصوابه ما جاء في الحديث الآخر « كلما مر عليه أخراها رد عليه أولاها » .

(١٢٠) العقصاء : الملتوية القرنين والجلحاء : التي لا قرن لها والعضباء التي انكسر قرنها الداخلي .

(١٢١) مسلم ٦٨٠ .

(١٢٢) الشجاع : الحية الذكر والأقرع : الذي تَمَعَّطَ شعره لكثرة سمه .

فإذا أتاهُ فَرَّ مِنْهُ فيُناديهِ : خُذ كَنْزَكَ الذي خبأْتَهُ فأنا عنهُ غَنِيٌّ ، فإذا رأى أن لا بُدَّ منهُ سَلَكَ يَدَهُ في فيهِ فَيَقْضَمُها قَضْمَ الفَحْلِ (١٢٣) » (١٢٤) .

حوضُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم يومَ القيامةِ :

ويَرِدُ المسلمونَ حوضَ النبي صلىً اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ ماؤه أبيضُ من اللبن وريحُه أطيبُ من المسك وآنيتُه كنجومِ السماء ، من شَرِبَ منه فلا يظمأ أبدا ، وليردَنَّ على رسول اللهِ صلى الله عليه وسلمِ الحوضَ رجالٌ من أُمته يعرفهم بعلامةِ الوضوء غُرًّا محجّلين ثم يطردون عن الحوض لأنهم نكصوا على أعقابهم وغيروا بعده صلى الله عليه وسلم وما أكثرهم في هذا الزمان ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

٢٧ – عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الحوضَ وأنا أذودُ (١٢٥) الناسَ عنهُ كما يذودُ الرجلُ إبِلَ الرجلِ عن إبِلِهِ » قالوا : يا نبيَّ اللهِ أتعرِفُنا ؟ قال : « نعم . لَكُم سِيمًا (١٢٦) ليست

(١٢٣) أي يأكلها كما يأكل البعير أكلته .

(١٢٤) الفتح ١٢/٤ ومسلم ٦٨٤ .

(١٢٥) أي أطرد وأدفع .

(١٢٦) أي علامة .

لأحدٍ غيرِكُمْ . تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ (١٢٧) من آثارِ الوُضُوءِ ولَيُصَدَّنَّ عَنِّي طائفةٌ مِنْكُم فلا يَصِلُونَ فأقولُ : يا رَبِّ هؤلاءِ من أصحابي فيجيبُني مَلَكٌ فيقولُ : وهل تدري ما أحدثوا بعدَكَ » رواه مسلم (١٢٨) .

٢٨ – وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رَضي اللهُ عنهما قالَت : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « إنِّي على الحوضِ حتى أنظُرَ من يَرِدُ عليَّ منكم ، وسيُؤخذُ ناسٌ من دوني فأقول : يا ربِّ مِني ومِن أُمَّتي ؟ فيقال : هل شَعَرْتَ ما عَمِلُوا بعدَك ؟ واللهِ ما بَرِحُوا يرجِعُونَ على أعقابِهِم » متفق عليه (١٢٩) .

وقد اختلفَ العلماءُ في الحوضِ والورودِ عليه أين يكونُ ومتى الورودُ ؟ فقيل يكون قبل الصراط إذ يُحشر الناس عطاشى فيرد المؤمنون الحوضَ ويتساقط الكفارُ في النارِ بعد أن يَسْألوا السُّقيا كما سيأتي ، وقيل إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط . قلت : والأول أقرب فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضَرَبَ موعداً لأصحابه رضي الله عنهم على الحوض فمن

(١٢٧) الغرة : بياض في جبهة الفرس والتحجيل بياض في يديها ورجليها . أي أنهم يأتون يوم القيامة وعلى هذه المواضع نور يعرفون به .

(١٢٨) مسلم ٢١٧ .

(١٢٩) الفتح ١٤/٢٧٥ ومسلم ١٧٩٤ .

عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : « إنكم ستلقون بعدي أُثَرَةً (١٣٠) فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » متفق عليه (١٣١) .

٢٩ – وعن عبدِ اللهِ بنُ عَمرو بنِ العاصِ رَضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « حَوْضِي مسيرةُ شَهْرٍ ، ماؤُهُ أبيضُ من اللَّبَنِ وريحُهُ أطيَبُ من المِسْكِ وكِيْزَانُهُ (١٣٢) كنُجُومِ السماء ، من شَرِبَ منه فلا يَظْمأُ أبَداً » متفق عليه (١٣٣) .

٣٠ – وعن ثوبانَ رضِي اللهُ عنه أن نبيَّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « إني لَبِعُقْرِ حوضي (١٣٤) أذودُ الناسَ لأَهْلِ اليَمَنِ ، أَضْرِبُ بعصايَ حتى يَرْفَضَّ (١٣٥) عليهم » فسُئلَ عن عَرْضِهِ فقال : « من مَقامِي إلىَ عَمَّانَ » وسُئِلَ عن شَرابِهِ فقالَ : « أشَدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ وأحلى من العسلِ يَغُتُّ فيه ميزابانِ (١٣٦) يُمِدَّانِهِ من الجنةِ أحدُهُما من ذَهَبٍ

---

(١٣٠) الأثرة : استئثار الأمراء بأموال بيت المال .

(١٣١) الفتح ١١٣/٩ ومسلم ١٤٧٤ .

(١٣٢) كيزانة : أي آنيته .

(١٣٣) الفتح ٢٦٧/١٤ ومسلم ١٧٩٣ .

(١٣٤) عقر الحوض : قيل هو موقف الإبل منه عند الورود وقيل مؤخره .

(١٣٥) يرفض : أي يسيل .

(١٣٦) أي يدفقان فيه الماء دفقاً شديداً .

والآخَرُ من وَرِقٍ » (١٣٧) رواه مسلم (١٣٨) .

طعامُ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ :

وفي هذا اليوم الطويل يكرمُ اللهُ جَلَّ ثناؤه من عباده الذين ارتضى لهم الجنة داراً ومسكناً ويقلبُ لهم الأرض خبزةً واحدةً فيأكلوا منها حتى يدخلوا الجنة .

٣١ – عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم قال : « تَكُوْنُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبزةً واحدةً يَكْفَؤُهَا (١٣٩) الجَبَّارُ بِيَدِهِ كما يَكْفَؤُ أحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ نُزُلاً (١٤٠) لأهلِ الجنَّةِ » قال : فأتى رجلٌ من اليهودِ فقال : باركَ الرحمنُ عليكَ أبا القاسم ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ ؟ قال : « بلى » قال : تكونُ الأرضُ خُبزةً واحدةً – كما قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم – قال : فنظرَ إلينا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم ثم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ (١٤١) قال : ألا أُخبرك بإِدَامِهِمْ (١٤٢) ؟ قال :

(١٣٧) الورق : أي الفضة .

(١٣٨) مسلم ١٧٩٩ .

(١٣٩) يكفؤها : أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي .

(١٤٠) النُّزُل : هو ما يعد للضيف عند نزوله .

(١٤١) النواجذ : جمع ناجذ وهو آخر الأضراس وتطلق أيضاً على الأنياب .

(١٤٢) الأدام : أي ما يؤكل مع الخبز .

بلى ، قال : إدامُهمْ بَأْلاَمُ (١٤٣) ونُوُنٌ (١٤٤) قالوا : وما هذا ؟ قال : ثَوْرٌ ونُونٌ يأْكُلُ من زائِدَةِ كبدِهِمَا (١٤٥) سبعونَ ألفاً . متفق عليه (١٤٦) .

شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في إدخال من لا حساب عليه من أمته الجنة :

ثم تُقَرَّبُ الجنةُ للمؤمنين فلا يستطيعون عنها صبراً ، ويبطئُ الرحمن عليهم في الحساب فينطلقون يلتمسون الأنبياء والمرسلين لعلهم يشفعون ، فإذا بكل رسول منهم يقول : نفسي نفسي إذهبوا إلى فلان حتى يأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقول : « أنا لها » فيدخل الله جلَّ ذكرُهُ بشفاعته من أمته من لا حساب عليه الجنةَ من أيمن أبوابها .

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وأُزْلِفَتِ (١٤٧) الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) .

---

(١٤٣) بالام : لفظة عبرانية معناها ثور .

(١٤٤) النون : أي الحوت .

(١٤٥) زائدة الكبد : هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد وهي غاية في اللذة .

(١٤٦) الفتح ١٤/١٦٢ ومسلم ٢١٥١ .

(١٤٧) أزلفت : أي قربت .

٣٢ – وعن أبي هريرةَ وحذيفةَ رضي الله عنهما قالا : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « يَجْمَعُ اللهُ تباركَ وتعالى النّاسَ فيقومُ المؤمنونَ حتى تُزْلَفَ لهمُ الجنَّةُ ، فيأتونَ آدمَ فيقولون : يا أبانا استَفْتِحْ لنا الجنَّةَ فيقولُ : وهل أخرَجَكُمْ من الجنَّةِ إلا خطيئةُ أبيكُم آدمَ ؟ لستُ بصاحِبِ ذلِكَ ، إذهبُوا إلى إبني إبراهيمَ خليلِ اللهِ » ... الحديث رواه مسلم (١٤٨) .

٣٣ – وقد رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنهُ ؛ قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلَّم يَوْماً بِلَحْم . فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ . فَنَهَسَ (١٤٩) مِنْهَا نَهْسَةً فقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ (١٥٠) . فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ (١٥١) .

(١٤٨) مسلم ١٨٧ .

(١٤٩) نهس : بمعنى أخذ بأطراف أسنانه .

(١٥٠) في صعيد واحد : الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية .

(١٥١) وينفذهم البصر : قال الكسائيّ : يقال نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني . قال ويقال : أنفذت القوم إذا خرقتهم ومشيت في وسطهم . فإن جزتهم حتى تخلفتهم قلت نفذتهم بغير ألف . ومعناه : ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم . وقال صاحب المطالع : معناه أنه يحيط بهم الناظر ، لا يخفي عليه منهم شيء لاستواء الأرض . أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين .

وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَالاَ يُطِيقُونَ . وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ . فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ . فَيَأْتُونَ آدَمَ . فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ . خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ . وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ . نَفْسِي نفسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ . فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ . وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي (١٥٢) . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ

---

(١٥٢) وهي قوله عليه السلام (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا) .

فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ (١٥٣) . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى

---

(١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يَكْذِبْ إبراهيم إلا ثلاثًا » رواه البخاري (٧ / ٢٠٠) وفي رواية أخرى للشيخين « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلاّ ثلاث كذبات : ثنتين منهن في ذات الله عز وجل ، قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال : « بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة فقيل له : إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسِلْ إليه فسألهُ عنها فقال : من هذهِ ؟ قال : أختي فأتى سارة قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ فقال : أدعي الله لي ولا أضركِ فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأُخِذَ مثلها أو أشد فقال : ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأُطلق فدعا بعض حجبته فقال : إنك لم تأتيني بإنسان إنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم — أي ما الخبر — قالت : رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر » (الفتح ٧ / ٢٠١ ومسلم ١٨٤٠) وقال العلماء : إطلاقة الكذب على الأمور الثلاثة لكونه قال قولاً يعتقده السامع كذبًا لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين وقوله في سارة أختي : أي أختي في الإسلام ولذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم على أن هذه الكذبات ليست داخله في الكذب المذموم .

مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى صلى اللهُ عليهِ وسلم فيَقولون : يا مُوسَى ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ . فَضَّلَكَ اللهُ ، بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِه ، عَلَى النَّاسِ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صلى اللهُ عليهِ وسلَّم . فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ (١٥٤) أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ (١٥٥) . فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْباً . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . إِذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليهِ

---

(١٥٤) أي لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم عليه وعلى أمه السلام .

(١٥٥) روحٌ منه : أي مخلوقةٌ من عنده سبحانه وقيل : أي ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح وأن إضافتها إليه تعالى إضافة تشريف كناقة الله وبيت الله ومثله قوله تعالى (وسخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) أي أنه سبحانه مكون كل ذلك وموجده وخالقه فتبارك الله رب العالمين .

وسلّم . فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِياء . وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي . ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي . ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! ارْفَعْ رَأْسَكَ . سَلْ تُعْطَهُ . اشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ : يَارَبِّ ! أُمَّتِي . أُمَّتِي . فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ ، مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ من أبوابِ الجنَّةِ وهُم شُرَكَاءُ الناسِ (١٥٦) فِيْمَا سِوَى ذلِكَ مِنَ الأَبْوابِ ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ إنَّ ما بين المِصْراعَيْنِ (١٥٧) من مَصاريعِ الجنَّةِ لكما بين مَكَّةَ وَهجَرٍ (١٥٨) أو كما بينَ مَكَّةَ وبُصَرَى (١٥٩) » متفق عليه (١٦٠) .

---

(١٥٦) أي أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب .

(١٥٧) المصراعان : جانبا الباب .

(١٥٨) هَجَرْ : من كبريات مدن البحرين

(١٥٩) بصري : مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل .

(١٦٠) الفتح ١٠ / ١٠ ومسلم ١٨٤ .

سؤالُ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ زيادةَ عددِ الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب :

٣٤ – عن أبي أُمَامَةَ رَضيَ اللهُ عنه عن النبي صلىَّ اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « وَعَدَنِي ربِّي عزَّ وجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الجنَّةَ مِن أُمتي سبعينَ ألفاً بغيرِ حِسابٍ ولا عذابٍ مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً وثلاثَ حثياتٍ (١٦١) من حثياتِ ربِّي عزَّ وجَلَّ » رواه أحمد (١٦٢) وصححه الألباني (١٦٣) .

أُمةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أول من يُحاسَبُ من بين الأُمم :

وفي هذا اليوم يُكرِمُ الله جلَّ ثناؤه النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلَّم ومن اتبعه من المسلمين فهم وإن كانوا آخر الأُمم إلا أنَّ اللهَ سبحانَهُ يجعلهم أولَّ من يُحشرُ وأولَّ من يُحاسبُ وأولَّ من يدخل الجنة .

٣٥ – عن أبي هريرةَ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلىَّ اللهُ عليهِ وسلَّم : « نحن الآخِرُونَ ونحنُ السابقونَ يومَ

---

(١٦١) أي ثلاث غرفات . مبالغة في الكثرة .

(١٦٢) المسند ٥/٢٦٨ .

(١٦٣) صحيح الجامع ٦/١٠٨ .

القيامةِ ، بَيْدَ (١٦٤) أنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الكِتَابَ من قَبْلِنا وأُوتِيْناهُ من بَعْدِهِمْ ، ثُمَّ هذا اليومُ (١٦٥) الذي كَتَبَهُ اللهُ علينا هدانا اللهُ لهُ ، والناسُ لنا فيه تَبَعٌ ، اليهودُ غداً والنصارى بعدَ غَدٍ » متفق عليه (١٦٦) .

٣٦ – وفي رواية عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما : « ... نحن الآخِرون من أهْلِ الدنيا والأولونَ يومَ القيامةِ المَقْضِيُّ لهُم قَبْلَ الخلائِق » رواه مسلم (١٦٧) .

٣٧ – وعن ابْنِ عباس رَضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قالَ : « نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وأَوَّلُ من يُحاسَبْ ، يقال : أَيْنَ الأُمَّةُ الأُميَّةُ ونبيُّها ؟ فنحن الآخِرون الأَوَّلون » رواه ابن ماجه (١٦٨) وصححه الهيثمي والألباني (١٦٩) .

من صُوَرِ الحساب :

ثم تَفَكَّرْ يا عبدَاللهِ كيف سيكلمُكَ ربُّكَ عز وجل

---

(١٦٤) بيد : أي غير .

(١٦٥) أي الجمعة .

(١٦٦) الفتح ٣/٤ ومسلم ٥٨٥ .

(١٦٧) مسلم ٥٨٦ .

(١٦٨) السنن ١٤٣٤ .

(١٦٩) صحيح الجامع ٦/٢٥ .

فتُسأَلُ عن القليلِ والكثيرِ والصغيرِ والكبيرِ .

قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ (**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُم فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**) .

وقالَ اللهُ تَعالَى (**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلينا حِسَابَهُم**) .

وقالَ اللهُ تَعالَى (**فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المرسَلِيْنَ . فَلَنَقُصَنَّ عليهِمْ بِعِلْمٍ وما كُنَّا غَائِبِيْنَ**) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**كَلاَّ بلْ تُحِبونَ العاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ . وَوُجوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (١٧٠) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (١٧١)**) .

٣٨ – وعن جرير بن عبدِاللهِ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلىَّ اللهُ عليهِ وسلَّم : « أَمَا إِنَّكُم سَتُعْرَضُونَ على رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ » رواه مسلم (١٧٢) .

كُفرُ المتبوعِ بالتابعِ :

قالَ اللهُ تبارَكَ وَتَعالَى (**وَاتَّخَذُوا من دونِ اللهِ آلِهَةً**

---

(١٧٠) باسره : أي كالحة عابسة .

(١٧١) فاقرة : أي هلاك وشر وعذاب .

(١٧٢) مسلم ٤٤٠ .

لِيَكُونوا لَهُمْ عِزًّا . كلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ويكونونَ عليهِمْ ضِدًّا) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (ويومَ نحشُرُهُمْ جميعًا ثم نقولُ للذينَ أَشْرَكُوا مكانَكُمْ أَنْتُمْ وشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُم (١٧٣) وقالَ شركاؤُهُمْ ما كنتم إِيَّانَا تَعْبُدُونَ . فَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بينَنَا وبينَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ (إِذْ تَبَرَّأَ الذينَ اتُّبِعُوا منَ الذينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُاْ العذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسبابُ . وقالَ الذينَ اتَّبَعُواْ لو أَنَّ لنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهم كما تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كذلكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعمالَهُمْ حسراتٍ عليهِم وما هم بخارِجِينَ من النارِ) .

فهم يتبرؤون من عبادة عابديهم لهم ويقولون : ما كنا نشعر بعبادتكم لنا والله شهيدٌ بيننا وبينكم أنَّا كنا عن عبادتكم غافلين ، فحينئذ يود المشركون لو عادوا إلى الحياة الدنيا مرةً أُخرى وعبدوا الله وحده وكانوا مسلمين .

وقال اللهُ تَبارَكَ وتعالى (ولو تَرَى إِذِ الظالمونَ مَوقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ القولَ يقولُ الذينَ استضعِفوا للذينَ استَكْبَرُوا لولا أَنتُمْ

(١٧٣) أي : فرقنا بينهم .

لكُنّا مُؤمِنين . قالَ الذينَ اَستَكْبَرُوا للذينَ استُضعِفوا أنحنُ صَدَدْنَاكُمْ عن الهُدَىْ بعدَ إذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتم مُجْرِمِينَ . وقالَ الذينَ استُضعِفُوا للذينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الليلِ والنهارِ إذْ تأْمُرُونَنَا أنْ نَكْفُرَ باللهِ ونجعَلَ لهُ أنْدَاداً وأَسَرُّوا الندامَةَ لَمَّا رَأَوُا العذابَ وَجَعَلْنا الأَغْلالَ في أَعناقِ الذينَ كَفَرُوا هَلْ يُجزَوْنَ إلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

وهذه صورة أخرى من صور الجدال والتبرؤ بين يدي الواحدِ القهّارِ ، يقول الأتباعُ المستضعفون للكهنةِ والقساوسةِ والسادةِ والقادةِ : أنتم صددتموناعن الهدى وأورثتمونا العذابَ فيقولُ هؤلاء : نحن أمَرْناكُمْ بِرَفْضِ الإسلامِ للهِ وأمَرْناكُم باتخاذِ الأندادِ فما كان منكم إلا السمعُ والطاعةُ ما محّصتم ولا ناقشتم أمرنا ، فما جزاءُ هؤلاء وأتباعِهم إلا السلاسلُ التي تَجْمَعُ أيديهم مع أعناقِهم وإلا جهنم هُم فيها خالدون .

تبرؤ الملائكةِ من المشركين :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جميعاً ثم يقولُ للملائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدونَ . قالُوا سُبحانَكَ أنتَ وليُّنا من دونِهِم بل كانُوا يعبُدُونَ الجنَّ أكثَرُهُمْ بِهِم مُؤمِنونَ) .

تقولُ الملائكةُ : سبحانك لا إلهَ إلا أنت نحن عبيدُك ونبرأُ اليك من عبادتهم لنا ما أمَرْناهم بذلكَ ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون .

فيقولُ اللهُ تبارَكَ وتعالىَ (فاليومَ لا يَمْلِكُ بعضُكُم لبعضٍ نفعاً ولا ضرَّاً ونقولُ للذينَ ظَلَمُوا ذُوقوا عذابَ النارِ التي كُنتم بها تُكَذِّبُونَ)يُوَبِّخُهُم اللهُ على عبادتِهم من لا يملك لهم اليومَ دفعاً ولا نفعاً وإعراضِهم عن الواحدِ القهّارِ وصدِّهم عن سبيلهِ وتكذيبِ رسلِه ..

عجزُ الأوثانِ عن نصرِ الكافرين :

قالَ اللهُ تَعالىَ (وَيَوْمَ يقولُ نادُوا شركائيَ الذينَ زَعمتُم فَدَعَوْهُمْ فلم يَسْتَجيبُوا لَهُمْ وجَعلنا بينهم موْبِقاً (١٧٤) .ورأى الْمُجْرِمونَ النارَ فَظنُّوا (١٧٥) أَنَّهُمْ مُّواقِعُوهَا ولم يَجِدُوا عَنها مَصْرِفاً)

وقالَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهمْ فلم يَستجيبوا لهم وَرأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُوْنَ) .

---

(١٧٤) أي : مهلكا ، وقيل : واد في جهنم .

(١٧٥) أي : تحققوا أنهم مواقعوها .

وقال الله جلّ ثناؤه (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّةٍ وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون) .

يخبر الله عزّ وجلّ عما يوبّخ به المشركين يوم القيامة : ادعوا الآلهة التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ يقول تعالى (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أي تمنوا حينئذ لو كانوا في الدنيا من المهتدين .

تبرؤ المسيح عليه السلامْ ممن اتّخذه وأمّه إلهين من دون الواحد القهار :

قال الله تبارك وتعالى (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علاّم الغيوب . ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على

كلِّ شيءٍ شَهِيدٌ . إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهم فإنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحَكِيْمُ) .

يقول عيسى عليه السلام : يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي . يا ربِّ إنه لا يخفى عليك شيءٌ ، يا ربِّ ما أمرتُهم إلا بما أرسلتني به : إنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم ، وكنت شهيداً عليهم مدةَ مُكثي بينهم وأنا يا رب بريءٌ مما أحدثوا من بعدي . والأمر بيدك يا ربِّ فافعل بهم ما تشاء .

قلت : مع عظم مقامِ عيسى بن مريم عليه وعلى أُمهِ السلامُ عند الله جل ثناؤه إلاَّ أن عظم جرم النصارى وقولهم هذه الكلمة العظيمة من اعتقادهم بأن عيسى ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، أقول إن إخلالهم بالتوحيد جعلهم من شفاعته عليه السلام محرومين ومن رحمته تعالى مطرودين اللهم يا ولي الاسلام وأهله ثبتنا على التصديق والتوحيد حتى نلقاك مسلمين .

قالَ اللهُ تَعالىَ (قالَ اللهُ هذا يومُ ينفعُ الصَّادِقِيْنَ صِدقُهُمْ لهُمْ جناتٌ تجرِي من تحتهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها أَبداً رَضِيَ اللهُ عنهُم ورَضُوا عنهُ ذلِكَ الفوزُ العظيمُ) .

يقول تعالى مجيباً عبده ورسوله عيسى عليه السلام : هذا يومُ ينفع الصادقين صدقُهم أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثوابٍ في جنانِ الخُلدِ التي تجري من تحتها الأنهارُ ورضوانٍ من الله أكبرُ وذلك هو الفوز العظيم .

من فضائل هذه الأمةِ شهادتُهم على الأممِ يومَ القيامةِ :

ثم يُدْعَى الرسلُ والأنبياء وأُممهم يوم القيامة فتنكر الأُممُ تبليغَ الرسلِ فتشهدُ هذه الأُمةُ على قومِ نوح وقومِ هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتْهم وانَّهم كذبوا رسلَهم .

٣٩ – عن أبي سعيدٍ الخدْرِي رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ فيقال لَهُ : هل بَلَّغْتَ ؟ فيقول : نَعَمْ يا رَبِّ ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ : هل بَلَّغَكُمْ ؟ فيقولونَ : ما جاءنا من نذيرٍ ، فيقولُ : من شُهودُكَ ؟ فيقولُ : مُحَمدٌ وأُمَّتُهُ ، فيجاءُ بِكُم فَتَشْهَدُون » ، ثم قرأ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « وكذلكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وسطاً » قال : عَدْلاً « لتَكُونوا شُهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكُم شَهِيداً » رواه البخاري (١٧٦) .

---

(١٧٦) الفتح ٨١/١٧ .

لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ (١٧٣) وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ . فَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) .

فهم يتبرؤون من عبادة عابديهم لهم ويقولون : ما كنا نشعر بعبادتكم لنا واللهُ شهيدٌ بيننا وبينكم أنَّا كنا عن عبادتكم غافلين ، فحينئذٍ يود المشركون لو عادوا إلى الحياة الدنيا مرةً أخرى وعبدوا الله وحده وكانوا مسلمين .

وقال اللهُ تَبارَكَ وتَعالى (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ

(١٧٣) أي : فرقنا بينهم .

لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قالَ الذينَ آسْتَكْبَرُوا للذينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عن الهُدَىٰ بعدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتم مُجْرِمِينَ . وقالَ الذينَ اسْتُضْعِفُوا للذينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الليلِ والنهارِ إِذْ تأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ باللهِ ونجعَلَ لهُ أَنْدَاداً وأَسَرُّوا الندامَةَ لَمَّا رَأَوُا العذابَ وَجَعَلْنا الأَغْلالَ في أعناقِ الذينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

وهذه صورة أخرى من صور الجدال والتبرؤ بين يدي الواحدِ القهّارِ ، يقول الأتباعُ المستضعفون للكهنةِ والقساوسةِ والسادةِ والقادةِ : أنتم صددتمونا عن الهدى وأورثتمونا العذابَ فيقولُ هؤلاءِ : نحن أَمَرْناكُمْ بِرَفْضِ الإسلامِ للهِ وأمَرْناكُم باتخاذِ الأندادِ فما كان منكم إلا السمعُ والطاعةُ ما محّصتم ولا ناقشتم أمرنا ، فما جزاءُ هؤلاء وأتباعِهم إلا السلاسلُ التي تَجْمَعُ أيديهم مع أعناقِهم وإلا جهنم هُم فيها خالدون .

تبرؤ الملائكةِ من المشركين :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعاً ثم يقولُ للملائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدونَ . قالُوا سُبحانَكَ أنتَ وليُّنَا من دونِهِم بل كانُوا يعبُدُونَ الجِنَّ أكثَرُهُمْ بِهِم مُؤْمِنونَ) .

تقولُ الملائكةُ : سبحانك لا إلهَ إلا أنت نحن عبيدُك ونبرأ اليك من عبادتهم لنا ما أمَرْناهم بذلكَ ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون .

فيقولُ اللهُ تبارَكَ وتعالىَ (فاليومَ لا يَمْلِكُ بعضُكُم لبعضٍ نفعاً ولا ضرًّاً ونقولُ للذينَ ظَلَمُوا ذُوقوا عذابَ النارِ التي كُنتم بها تُكَذِّبُونَ)يُوَبِّخُهُم اللهُ على عبادتِهم من لا يملك لهم اليومَ دفعاً ولا نفعاً وإعراضِهم عن الواحدِ القهّارِ وصدِّهم عن سبيلهِ وتكذيبِ رسلِه .

عجزُ الأوثانِ عن نصرِ الكافرين :

قالَ اللهُ تَعالىَ (وَيَوْمَ يقولُ نادُوا شركائِيَ الذينَ زَعمتُم فَدَعَوْهُمْ فلم يَسْتَجيبُوا لَهُمْ وجَعلنا بينهم مَوْبِقاً (١٧٤) .ورأى الْمُجْرِمونَ النارَ فَظَنُّوا (١٧٥) أَنَّهُمْ مُّواقِعُوهَا ولم يَجِدُوا عَنها مَصْرِفاً)

وقالَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهمْ فلم يَستجيبوا لهم وَرأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ) .

---

(١٧٤) أي : مهلكا ، وقيل : واد في جهنم .

(١٧٥) أي : تحققوا أنهم مواقعوها .

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كما خَلقناكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ وراءَ ظُهورِكُمْ وما نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الذينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لقد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عنكُم ما كُنتُمْ تزعُمُونَ).

يخبِرُ اللهُ عز وَجَلَّ عما يوبخ به المشركين يومَ القيامة: ادعوا الآله التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ يقول تعالى (**فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون**) أي تمنوا حينئذ لو كانوا في الدنيا من المهتدين.

تبرؤ المسيحِ عليه السلامُ ممن اتَّخذه وأُمَّه إلهين من دون الواحد القهار:

قال اللهُ تَبارَك وتعالى (**وإذْ قالَ اللهُ يا عيسَى ابنَ مريَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتخِذوني وأُمِّيَ إلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يكونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ. ما قُلْتُ لهم إلاَّ ما أَمَرْتَني بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وكُنْتُ عليهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عليهِمْ وأَنْتَ عَلَى**

كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ . إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهُم فإنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحَكِيمُ) .

يقول عيسى عليه السلام : يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي . يا ربِّ إنه لا يخفى عليك شيءٌ ، يا ربِّ ما أمرتُهم إلا بما أرسلتني به : إنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم ، وكنت شهيداً عليهم مدةَ مُكثي بينهم وأنا يا رب بريءٌ مما أحدثوا من بعدي . والأمر بيدك يا ربِّ فافعل بهم ما تشاء .

قلت : مع عظم مقامِ عيسى بن مريم عليه وعلى أُمِّهِ السلامُ عند الله جل ثناؤه إلاَّ أَن عظم جرم النصارى وقولهم هذه الكلمة العظيمة من اعتقادهم بأن عيسى ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، أقول إن إخلالهم بالتوحيد جعلهم من شفاعته عليه السلام محرومين ومن رحمته تعالى مطرودين اللهم يا ولي الاسلام وأهله ثبتنا على التصديق والتوحيد حتى نلقاك مسلمين .

قالَ اللهُ تَعالَى (**قالَ اللهُ هذا يومُ ينفعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لهُمْ جناتٌ تجرِي من تحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عنهُم ورَضُوا عنهُ ذلِكَ الفوزُ العظيمُ**) .

يقول تعالى مجيباً عبده ورسوله عيسى عليه السلام : هذا يومُ ينفع الصادقين صدقُهم أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثوابٍ في جنانِ الخُلدِ التي تجري من تحتها الأنهارُ ورضوانٍ من الله أكبرُ وذلك هو الفوز العظيم .

من فضائل هذه الأمةِ شهادتُهم على الأممِ يومَ القيامةِ :

ثم يُدْعَى الرسلُ والأنبياء وأممهم يوم القيامة فتنكر الأممُ تبليغَ الرسلِ فتشهدُ هذه الأمةُ على قومِ نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتْهم وأنَّهم كذبوا رسلَهم .

٣٩ – عن أبي سعيدٍ الخدْرِي رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ فيقال لَهُ : هل بَلَّغْتَ ؟ فيقول : نَعَمْ يا رَبِّ ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ : هل بَلَّغَكُمْ ؟ فيقولونَ : ما جاءَنا من نذيرٍ ، فيقولُ : من شُهودُكَ ؟ فيقولُ : مُحَمدٌ وأُمَّتُهُ ، فيجاءُ بِكُم فَتَشْهَدُون » ، ثم قرأ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « وكذلكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وسطاً » قال : عَدْلاً « لتَكُونوا شُهداءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكُم شَهِيداً » رواه البخاري (١٧٦) .

---

(١٧٦) الفتح ٨١/١٧ .

٤٠ - وعنه أيضا رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « يَجيءُ النبيُّ يومَ القيامةِ وَمَعَهُ الرَّجُلَ والنبيُّ ومعهُ الرَّجُلانِ وأكثرُ من ذلك فيُدعى قومَهُ فيقالُ لهم هل بلَّغكم هذا ؟ فيقولون : لا فيقالُ له : هل بَلَّغتَ قومَك ؟ فيقولُ : نعم ، فيقالُ له : من يشهدُ لك ؟ فيقول : محمدٌ وأُمته ، فيُدعى محمدٌ وأُمته فيقالُ لهم : هل بَلَّغَ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقالُ : وما عِلْمُكُم فيقولون : جاءنا نبيُّنا فأخْبَرَنَا أن الرُّسُلَ قد بَلَّغوا فذلك قوله - وكَذَلِكَ جعلناكُم أُمَّةً وسطاً - قال يقول عَدْلاً - لِتكونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ وَيكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا » رواه أحمد (١٧٧) وصححه الألباني (١٧٨) .

مناقشةُ الحسابِ :

ثم يحاسِبُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَه فمنهم من يناقشه في الحساب ويستقصي عليه ويوقفه على قبيح أعماله ثم يساقُ إلى جهنَّم .

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**وَأَنْذِرْهُمْ يومَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وهُم في غَفْلَةٍ وهُم لا يُؤمِنُونَ**) .

---

(١٧٧) المسند ٥٨/٣ .

(١٧٨) صحيح الجامع ٣٢٥/٦ .

وقالَ اللهُ تَعالَى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ من خيرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بينَهاَ وبينَهُ أَمَداً بَعِيْداً) .

السؤالُ يومئذ عن خمسٍ :

٤١ – عن عبدِاللهِ بن مسعودٍ رضي اللهُ عنه عن النَبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « لا تَزُولُ (١٧٩) قَدَما ابن آدمَ يَومَ القيامةِ من عند ربِّهِ حتى يُسأَلَ عَن خَمْسٍ : عن عُمُرِهِ فِيمَ أفناهُ وعن شَبابِهِ فيمَ أَبلاهُ ، ومالِهِ من أينَ اكتَسَبَهُ وفِيمَ أَنْفَقَهُ وماذا عَمِلَ فيماعَلِمَ » رواه الترمذي (١٨٠) وقالَ الألباني : إسناده حسن (١٨١) .

وكذلك اليوم تُنسى :

٤٢ – عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قالَ : قالُوا : يا رسولَ اللهِ هل نَرَى رَبَّنا يومَ القيامَةِ ؟ قالَ : « هل تُضَارُونَ في رُؤيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ لَيسَتْ في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا قال : « فهل تُضَارُون في رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ ليسَ في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا قال : « فوالذي نَفسِيْ بيدِهِ لا تُضَارُونَ في رُؤيَةِ

(١٧٩) أي إلى الجنة أو إلى النار .

(١٨٠) السنن ٢٥٣/٩ .

(١٨١) صحيح الجامع ١٤٨/٦ .

رَبِّكُم إلاَّ كما تُضَارُونَ في رُؤيَةِ أحَدِهِمَا ، قال فيَلْقَى العَبْدَ فيقولُ : أي فُلْ (١٨٢) ألم أُكرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ (١٨٣) وأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّر لَكَ الخَيلَ والإبِلَ وأُذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ (١٨٤) فيقولُ : بَلَى قالَ : فيقولُ : أفَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاَقِيَّ ؟ فيقولُ : لا ، فيقولُ : فإنِّي أنساكَ كَما نَسِيتَنِي ، ثم يَلْقَى الثانيَ فيقولُ : أيْ فُلْ ، ألم أُكرمكَ وأُسودكَ وأُزوِّجكَ وأُسخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبلَ وأُذَرْكَ تَرْأَسُ وتَربَعُ ؟ فيقول : بلى أي رَبِّ فيقول : أفَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ ؟ فيقولُ : لا فيقولُ : فإنِّي أنساكَ كما نَسِيتَنِي ، ثم يَلْقَى الثالثَ فيقولُ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ فيقولُ : يا رَبِّ آمنتُ بكَ وبكتابِكَ وبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ويُثْنِي بِخَيْرٍ ما استطاعَ فيقولُ : هَهُنَا إذاً ، قال ثم يقالُ له : الآنَ نبعثُ شاهِدَنَا عليكَ ، ويتفكرُ في نَفسِهِ : من ذَا الذي يَشْهَدُ عليَّ ؟ فيُخْتَمُ على فِيْهِ ويقالُ لِفَخذِهِ وَلَحْمِهِ وعِظَامِهِ : انْطِقِي . فَتَنْطِقُ فَخذُهُ وَلَحْمُهُ وعظامُهُ بِعملِهِ ، وذلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ ، وذلِكَ المنافِقُ ، وذلِكَ الذي يَسْخَطُ

---

(١٨٢) أي يا فلان .

(١٨٣) أي أجعلك سيداً على غيرك .

(١٨٤) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها وقيل معناه : أي تستريح فلا تشقى ولا تتعب . والله أعلم .

اللهُ عليه » رواه مسلم (١٨٥) .

٤٣ – وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « يقولُ اللهُ تعالى لأهْوَنِ أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامةِ : لَوْ أنَّ لكَ ما في الأرضِ من شيءٍ أكنتَ تفتدِي بهِ ؟ فيقول : نعم فيقول : أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلْبِ آدَمَ : أنْ لا تُشْرِكَ بي شيئاً فأبيتَ إلاَّ أنْ تُشْرِكَ بي » متفق عليه (١٨٦) .

من نُوقِشَ الحساب عُذِّب :

٤٤ – عن عائشةَ أمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « لَيْسَ أحدٌ يحاسَبُ يومَ القيامَةِ إلاَّ هَلَكَ » فقلتُ : يا رسولَ اللهِ أليسَ قد قالَ اللهُ تَعالى (**فأمَّا من أوتِيَ كتابَهُ بيَمينِهِ فسوفَ يحاسَبُ حساباً يَسيرا**) فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم : « إنَّما ذلكِ العَرْضُ وليسَ أحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسابَ يومَ القيامَةِ إلاَّ عُذِّبَ » متفق عليه (١٨٧) .

لا تُرْجُمانَ بينَ العبدِ وبينَ ربهِ عزَّ وجلَّ :

٤٥ – عن عَدِي بنِ حاتِمٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ

(١٨٥) مسلم ٢٢٧٩ .

(١٨٦) الفتح ٢١٦/١٤ ومسلم ٢١٦٠ .

(١٨٧) الفتح ١٩٣/١٤ ومسند ٢٢٠٥ .

اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم : « ما مِنْكُم من أحدٍ إلاَّ سيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ليسَ بينَهُ وبينَهُ تُرْجُمانٌ ، فينظُرُ أيمَنَ منهُ فَلَا يَرَى إلاَّ ما قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وينظُرُ أشأَمَ منهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ ، وينظُرُ بينَ يديهِ فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وجهِهِ ، فاتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تَمرةٍ » رواه البخاري (١٨٨) .

فتأملْ يا عبدَالله موقفَك غداً بين يدي العزيزِ القهارِ فإنها والله ساعةٌ لا يخفى على الموقنين رهبتُها ولا على المتقين شدَّتُها .

أول ما يُحاسَب الناس به يومئذ :

وأول ما يحاسَبُ العبدُ عليه يومئذ الصلاةُ فإن صلُحت صلُحَ له سائرُ عملِه وإن فَسَدَتْ فسدَ سائرُ عملِه .

٤٦ – عن أنس بن حكيم الضبي قال : خافَ من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقِيَ أبا هريرة قال : فَنَسَبَنِي فانتَسَبْتُ لَهُ فقال : يا فتى ألا أُحَدِّثُكَ حديثاً ؟ قال : قلتُ : بلى رَحِمَكَ اللهُ ، قال يونس وأحسَبُهُ ذَكَرَهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم قال : « إنَّ أول ما يحاسَبُ الناسُ بهِ يومَ القيامَةِ من أعمالِهِمُ الصَّلاةُ قالَ : يقولُ رَبُّنا عزَّ وجلَّ لملائِكَتِهِ وهو أعلمُ : انظُروا في صلاةِ عَبدي أتَمَّها أم نقَصها ؟ فإن كانت تامَّةً كُتِبَتْ لَهُ

(١٨٨) الفتح ١٧ / ٢٥٥ .

تامَّة ، وإن كان انتَقَصَ منها شَيئاً قالَ : انظُروا هل لعَبْدِي من تَطَوُّعٍ ؟ فإن كانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قالَ : أَتِمُّوا لعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثم تُؤخذُ الأَعمالُ على ذاكم» رواه أحمد (١٨٩) وأبو داود (١٩٠) وصححه الألباني (١٩١) .

الحساب اليسير :

ويدني اللهُ عزَّ وجلَّ بعضَ المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم فيعرض عليهم أعمالَهم ويقررهم ويذكرهم بذنوبٍ عملوها في الدنيا ثم يعفو عنهم ليعلموا مِنَّة الله جل ثناؤه على أهل الإيمان والإسلام .

٤٧ – عن عبدالله بن عُمَرَ رَضِي اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : «إنَّ اللهَ يُدْنِي المؤمِنَ فَيَضَعُ عَلَيهِ كَنَفَهُ (١٩٢) وَيَسْتُرُهُ فيقولُ : أتعرِفُ ذَنْبَ كَذا ؟ أتعرِفُ ذَنْبَ كَذا ؟ فيقولُ : نَعَمْ أيْ رَبِّ . حتى قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ورأى في نَفْسِهِ أنَّهُ قد هَلَكَ قالَ : سَتَرتُها عليك في الدنيا وأنا أغفِرُها لكَ اليومَ فَيُعطى كتابَ حسناتِهِ وأما الكُفَّارُ

---

(١٨٩) المسند ٢/٤٢٥ .
(١٩٠) السنن ١/٢٠٠ .
(١٩١) صحيح الجامع ٢/٣٥٢ .
(١٩٢) أي يستره .

والمنافقونَ فيُنادَى بِهِم على رُؤُس الخَلائِقِ (**هؤلاءِ الذينَ كَذَبُوا على رَبِّهِم ألا لَعْنَةُ اللهِ على الظالِمينَ**) متفق عليه (١٩٣) .

وقد علمتَ يا عبدَ الله أن اللهَ عزَّ وجلَّ يَغضَبُ في هذا اليوم غضباً شديداً – نعوذ بالرحمٰن من غضبته – كما تقدم في الصحيحين عن آدم وإبراهيم وموسى وعيسى حين يسألهم الناسُ الشفاعةَ وكلُّهم يقول : « إنَّ ربي قد غَضِبَ اليومَ غَضَباً لم يغضبْ قبلَه مثلَه ولن يغْضَبَ بعدَه مثلَه ، نفسي نفسي » فتأمل يا عبدَاللهِ حالَ هؤلاءِ الرسلِ والأنبياء الذين رضي اللهُ عنهم وأنعمَ عليهم وامتدحهم وكيف كان جوابُهم « نفسي نفسي » فهابوا الجبارَ أن يسألوه التخفيفَ عن أهلِ الموقفِ ، فكيف بك ثم كيف بك إذا قيل : ليقم فلانٌ ابن فلانٍ ، وكيف بك وقد عُرِضَتْ سجلاتُ أعمالِك ما شذَّتْ عنها صغيرةٌ ولا كبيرةٌ وكيف بك إن كان الحكم عليك الخلودُ في نار جهنَّمَ ، فاتَّقِ اللهَ ، اتَّقِ اللهَ .

أول ما يُقضى بين الناسِ يَومَئِذٍ في الدماءِ :

٤٨ – عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ قال : قالَ

---

(١٩٣) الفتح ٦/٢٢ ومسلم ٢١٢٠

رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «أَوَّلُ ما يُقْضَى بينَ النَّاسِ يومَ القيامةِ في الدِّماءِ» متفق عليه (١٩٤) .

قال العلماء : ليس هذا الحديثُ مخالفاً للحديث المتقدم «أول ما يُحاسَبُ الناسُ به من أعمالهم الصلاة» لأن هذا الأخيرَ فيما يتعلق بعبادةِ الخالقِ أما الآخرُ فهو فيما يتعلق بمعاملات الخلـق .

كيفية القصاصِ يومئذٍ :

٤٩ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «مَنْ كانتْ له مَظْلَمَةٌ لأخيهِ من عِرْضِهِ أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليومَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ ، إن كانَ لهُ عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وإن لم تكن لَه حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحِبِهِ فحُمِلَ عليه» رواه البخاري (١٩٥) .

٥٠ - وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : «أتدرونَ ما المُفْلِسُ؟» قالوا : المفلِسُ

(١٩٤) الفتح ١٨٧/١٤ ومسلم ١٣٠٤ .
(١٩٥) الفتح ٢٦/٦ .

فينَا من لا درهمَ لهُ ولا متاعَ فقالَ : « إنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يأْتِي يومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأْتِي قد شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا وأَكَلَ مالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وضَرَبَ هذا فيُعْطَى هذا من حسناتِهِ وهذا من حسناتِهِ فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ قبلَ أن يُقْضَى ما عليهِ أُخِذَ من خَطاياهُم فطُرِحَتْ عليهِ ثم طُرِحَ في النَّارِ » رواه مسلم (١٩٦) .

المراؤون أول الناس يقضي عليهم يوم القيامة :

٥١ – عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « إنَّ أَوَّلَ الناسِ يُقْضَى يَومَ القِيامَةِ عليهِ رَجُلٌ استُشْهِدَ فأُتِيَ به فَعرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها ، قالَ : فما عَمِلْت فِيها ؟ قال : قاتَلْتُ فيكَ حتى استُشْهِدْتُ قال : كَذَبْتَ ، ولكنك قاتَلتَ لأنْ يُقال جريءٌ فقد قيلَ ، ثُم أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وَجهِهِ حتى أُلقِيَ في النار ، وَرَجُلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعَلَّمَهُ وقرأَ القرآنَ فأُتِيَ به فعرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها قالَ : فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : تَعلمتُ العلمَ وعَلَّمتُهُ وقرأتُ فيكَ القرآن ، قال : كذبتَ ولكنكَ تَعَلَّمتَ العِلْمَ ليقالَ عالمٌ وقرأتَ القرآن ،

---

(١٩٦) مسلم ١٩٩٧ .

ليقالَ هو قارىءٌ فقد قيل ، ثم أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجهِهِ حتى أُلقِيَ في النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عليهِ وأعطاهُ من أصنافِ المالِ كُلِّهِ فأُتِيَ به فعرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قالَ : فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : ما تَرَكتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلا أنْفَقْتُ فيها لَكَ قال : كَذَبْتَ ، ولكنَّكَ فَعلتَ ليقالَ هو جوادٌ فقد قيلَ ، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهِهِ ثم أُلقي في النَّارِ » رواه مسلم (١٩٧) .

المصوّرون من أشدِّ الناسِ عذاباً يومئذ :

٥٢ – عن عائشةُ أُمِّ المؤمنين رضي اللهُ عنها قالت : دَخَلَ عليَّ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم وفي البيتِ قِرامٌ (١٩٨) فيه صُوَرٌ ، فتلوَّن وجهُهُ (١٩٩) ثم تناوَلَ السِّتْرَ فَهتَكَهُ (٢٠٠) وقالت : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مِنْ أشَدِّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامَةِ الذينَ يُصَوِّرُونَ هذِهِ الصُّور » متفق عليه (٢٠١) .

٥٣ – وعن عبدِاللهِ بن عمر رضي اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ

(١٩٧) مسلم ١٥١٤ .
(١٩٨) قرام : أي ستر .
(١٩٩) تلون : أي تغير من الغضب .
(٢٠٠) هتكه : أي جذبه حتى أوقعه من موضعه .
(٢٠١) الفتح ١٣١/١٣ ومسلم ١٦٦٧ .

صلى اللهُ عليهِ وسلَّم قال : «إنَّ الذينَ يَصْنَعُونَ هذهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبونَ يومَ القيامَةِ ، يقالُ لهم : أَحيُوا ما خَلَقْتُم» متفق عليه (٢٠٢) .

٥٤ - عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم يقولُ : «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ ، يَجْعَلُ (٢٠٣) لهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفساً فَتُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ» رواه مسلم (٢٠٤) .

يا ابنَ آدمَ ، مرضتُ فلم تَعُدْني :

٥٥ - عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «إن اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامَةِ : يا ابنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي ، قالَ : يا رَبِّ كيف أعودُكَ وأنتَ رَبُّ العالَمِين ؟ قال : أَما عَلِمْتَ أَنَّ عبدِي فُلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ ، أما عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ، يا ابنَ آدَمَ ، استَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمْنِي ، قالَ : يا رَبِّ وكَيفَ أُطْعِمُكَ وأَنتَ رَبُّ العالَمِين قالَ : أما عَلِمْتَ أَنَّه استَطْعَمَكَ عَبْدِي فلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ

---

(٢٠٢) الفتح ٥٠٨/١٢ ومسلم ١٦٦٩ .
(٢٠٣) الفاعل هو الله تعالى ، أضمر للعلم به .
(٢٠٤) مسلم ١٦٧١ .

لَوَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تَسْقِنِي ، قالَ : يا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ ؟ قال : اسْتَسْقَاكَ عبدي فُلانٌ فلم تَسْقِهِ ، أَمَّا إِنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي » رواه مسلم (٢٠٥) .

صِبْغَةُ النار وصِبْغَةُ الجنةِ :

٥٦ - عن أنسِ بن مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه قالَ : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهلِ الدنيا من أهْلِ النارِ يومَ القيامَةِ فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً (٢٠٦) ثم يُقالُ : يا ابنَ آدمَ ، هل رأيتَ خيراً قَطُّ ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ ؟ فيقولُ : لا واللهِ يا رَبِّ ، ويؤتى بأشدِّ الناسِ بُؤْساً في الدنيا من أهلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنَّةِ فيقالُ لَهُ : يا ابنَ آدَمَ هل رأيتَ بُؤساً قَطُّ ؟ هل مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فيقولُ : لا واللهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ ولا رأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » رواه مسلم (٢٠٧) .

٥٧ - وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « يُؤتَى بالرجلِ من أهلِ الجنةِ فيقولُ

---

(٢٠٥) مسلم ١٩٩٠ .

(٢٠٦) أي يغمس غمسة .

(٢٠٧) مسلم ٢١٦٢ .

لَهُ يا ابنَ آدَمَ كيفَ وجدتَ منزلكَ فيقولُ : أي رَبِّ خيرَ منزلٍ فيقولُ : سَلْ وَتَمَنَّ فيقولُ : ما أَسألُ وأَتَمَنى إلاّ أن تردني إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة ويُؤتَى بالرجلِ من أهلِ النارِ فيقولُ لَهُ : يا ابنَ آدَمَ كيفَ وَجدتَ منزلكَ ؟ فيقول : أي رَبِّ شَرَّ منزلٍ فيقولُ لَهُ : اتفتدى منه بطلاع (٢٠٨) الأرض ذهباً ؟ فيقولُ : أي رَبِّ نعم فيقولُ : كذبتَ قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل ، فيُرَدُّ إلى النارِ » رواه أحمد (٢٠٩) وصححه الألباني (٢١٠) .

قِصَرُ يومِ القيامةِ على المؤمنين :

٥٨ – عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « يومُ القيامةِ على المؤمنين كَقَدْرِ ما بين الظهر والعصر » رواه الحاكم وصححه الألباني (٢١١) .

صفةُ حسابِ رجل ممن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته :

قالَ اللهُ تعالَى (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما

(٢٠٨) أي قدرها .

(٢٠٩) المسند ٢٠٨/٣ .

(٢١٠) صحيح الجامع ٣١١/٦ .

(٢١١) صحيح الجامع ٣٦٦/٦ .

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

٥٩ – وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يقول : « إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رَجُلاً من أُمَّتي على رؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ عليهِ تسعةً وتسعينَ سِجِلاً كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مَدِّ البَصَرِ ثم يقولُ : أتُنْكِرُ من هذا شيئاً ؟ أظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافِظون ؟ فيقولُ : لا يا رَبِّ فيقولُ : أفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فيقُولُ : لا يا رَبِّ فيقولُ : بَلَى إنَّ لَكَ عندنا حسنةً فإنَّه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ ، فتخْرُجُ بطاقَةٌ فيها أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ فيقولُ : اَحْضَرْ وَزْنَكَ فيقولُ يا رَبِّ ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجِلاَّتِ ؟ فقالَ : إنَّكَ لا تُظْلَمُ ، قالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ في كفَّةٍ والبطَاقَةُ في كفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ إسمِ اللهِ شيءٌ » رواه أحمد (٢١٢) والترمذي (٢١٣) والحاكم (٢١٤) وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني (٢١٥) .

---

(٢١٢) المسند ٢/٢١٣ .
(٢١٣) السنن ١٠/١٠٧ .
(٢١٤) المستدرك ١/٦ .
(٢١٥) الأحاديث الصحيحة حديث ١٣٥ .

الأمرُ باتِّباعِ كلِ أمةٍ ما كانت تعبدُ وسقوطُ الكفارِ في النارِ ، كشف الساقِ ، وتحوُّلُ الخلائقِ من الموقفِ والمرورُ على الصراطِ وشفاعةُ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والنبيين والملائكةِ عليهم السلامُ والمؤمنين وشفاعةُ أرحمِ الراحمين :

ثم ينادي المنادِ : لِيذْهَبْ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبُدون ، فيسمعون ويطيعون ويتساقطون في جهنم ولا يبقى إلا من كان يعبدُ اللهَ من برٍّ وفاجرٍ فيأْتيهُمُ اللهُ جلَّ ثناؤه في صورةٍ غير التي رأوه فيها أولَّ مرةٍ فيقولُ : أنا ربُّكم فيستعيذون بالله منه ويقولون : إذا جاءَ ربُّنا عرفناه فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها فيقولون : نَعَمْ الساق ، فيكشِفُ الرحمنِ عن ساقهِ فيسجد له كلُّ مؤمنٍ ويستعصي السجودُ على المنافقِ والمرائي ، ثم يرفعون رؤوسَهمْ وقد تحوّلَ اللهُ تبارك وتعالى في صورتهِ الأولى فيقول : أنا ربُّكم فيقولون : أنت ربُّنا . ثم يُؤتى بالصِراطِ فيُجعلُ بين ظهريْ جهنم ويمرُّ الناسُ عليه إلى الجنةِ ، وهو أدَقُّ من الشَعْرَةِ ، وأَحَدُّ من السَّيفِ . وسرعةُ الناسِ عليه على قَدْرِ أعمالهم فالمؤمن كالطَّرْفِ وكالبرقِ وكالريحِ وكأجاويدِ الخيلِ والركابِ وعلى الصراطِ خطاطيفُ مأمورةٌ ، فمن الناسِ من ينجو ومنهم من يُخَدَشُ ومنهم الموبق بعمله فإذا فَرَغَ اللهُ

عزَّ وجلَّ من القضاء بين عباده أذِنَ للشافعين في إخراجِ المؤمنين الذين أَوْبَقَتْهُمْ أعمالُهم في النارِ فيخرجون وقد ماتوا وتفحَّموا فيُلقَوْن في نَهَرِ الحياةِ بأفواهِ الجنةِ فينبتُون كما تنبُتُ الحبَّةُ فيخرجونَ كأنهم اللؤلؤ ثم يُدخِلُهُم اللهُ جلَّ ثناؤه الجنَّةَ .

حديثُ الصراطِ :

٦٠ – عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضي اللهُ عنه قالَ : قلنا : يا رسولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القيامَةِ ؟ قالَ : « هَلْ تُضارُونَ (٢١٦) في رُؤيَةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ إذا كانَتْ صَحْواً » ؟ قُلنا : لا ، قالَ : فَإِنَّكُمْ لا تُضارُونَ في رؤيةِ رَبِّكُم يومَئِذٍ إلاَّ كما تُضارُونَ في رُؤيَتِهِمَا » ثم قالَ : « يُنَادِي منادٍ : لِيَذْهَبْ كُلُّ قَومٍ إلى ما كانوا يَعْبُدُونَ ، فَيَذْهَبُ أصحابُ الصَّليبِ مَعَ صَليبِهِمْ وأَصْحابُ الأوثانِ مَعَ أَوثانِهِمْ وأَصْحابُ كُلِّ آلهةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حتى يَبْقَى من كانَ يَعْبُدُ اللهَ من بَرٍّ أو فاجرٍ وغُبَّراتٌ (٢١٧) من أهلِ الكتابِ . ثم يُؤتَى بجهنَّمَ تُعْرَضُ كأَنَّها سَرابٌ فيقالُ لليهودِ : ما كُنْتُمْ تَعْبُدُون ؟

---

(٢١٦) تضارون : رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد : هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه ، ومعنى المخفف : هل يلحقكم في رؤيته ضر ، وهو الضرر .

(٢١٧) غُبَّرات : أي بقاياهم جمع غابر .

قالوا : كُنا نعبُدُ عُزَيْرَ ابنَ اللهِ ، فيقالُ : كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلهِ صاحبَةٌ ولا وَلَدٌ ، فما تُريدُون ؟ قالوا : نُريدُ أن تَسْقِيْنَا فيقالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ ثم يقالُ للنَّصارَى : ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فيقولونَ : كُنَّا نعبُدُ المَسِيْحَ ابنَ اللهِ فيقالُ : كَذَبْتُمْ لمْ يَكُنْ للهِ صاحبةٌ ولا وَلَدٌ فما تُريدونَ ؟ فيقولونَ : نُريدُ أن تَسْقِيْنَا فيقالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَسَاقَطُون حتى يَبْقَى من كَانَ يَعْبُدُ اللهَ من بَرٍّ أو فاجرٍ فيقالُ لهم : ما يَحْبِسُكُمْ وقد ذَهَبَ الناسُ ؟ فيقولونَ فارقناهم ونحنُ أحوجُ مِنَّا إليهِ اليومَ (٢١٨) ، وإنَّا سَمِعْنَا منادياً يُنادي : لِيَلْحَقْ كُلُّ قومٍ بِمَا كانُوا يَعبُدونَ وإنَّما نَنْتَظِرُ رَبَّنا ، قالَ : فيأْتِيْهِمُ الجَبَّارُ في صُورةٍ غَيْرِ صورتِهِ الَّتي رَأَوْهُ فِيها أَوَّلَ مَرَّةٍ فيقولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فيقولونَ : أَنْتَ رَبُّنَا - وفي روايةٍ عندَ البخاري (٢١٩) - فيقولونَ : هذا مكانُنا حتى يأْتينا رَبُّنا فإذا جاءَ رَبُّنا عَرَفْنَاهُ ، فيأْتِيْهِمُ اللهُ في صورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ - فلا يُكَلِّمُهُ إلاَّ الأنبياءُ فيقولُ : هَلْ بينَكم وبينَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فيقولونَ السَّاقُ ، فَيَكْشِفُ عن ساقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤمِنٍ

---

(٢١٨) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه ، فهم يتضرعون إلى الله سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم .

(٢١٩) الفتح ١٧/١٩٧ .

وَيَبْقَى من كانَ يَسْجُدُ لِلهِ رياءً وسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فيعودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً واحِداً (٢٢٠) ، ثم يُؤتَى بالجَسْرِ فيُجْعَلُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ (٢٢١) » قلنا : يا رسولَ اللهِ وما الجَسْرُ ؟ (٢٢٢) قالَ : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ (٢٢٣) عليه خَطَاطِيْفُ وكَلاَلِيْبُ (٢٢٤) وحَسَكَةٌ (٢٢٥) مُفَلْطَحَةٌ (٢٢٦) لها شوكَةٌ

---

(٢٢٠) الطبق : فقار الظهر ، أي صار فقاره واحد ، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى .

(٢٢١) وفي رواية عند مسلم قال : « قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً – مرتين أو ثلاثاً – حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد إتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا » . مسلم ١٦٨ .

(٢٢٢) الجسْر : بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط .

(٢٢٣) مدحضة مزلة : الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر .

(٢٢٤) الخطاطيف والكلاليب : جمع خطاف وكلوب أو كلاب . والخطاف حديدة حجناء أي معوجة والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس .

(٢٢٥) الحسكة : شوكة صلبة معروفة .

(٢٢٦) مفلطحة : أي عريضة .

عَقِيفَةٌ (٢٢٧) تكونُ بِنَجْدٍ يقالُ لها السَّعْدانُ ، المؤمنُ عليها كالطَّرْفِ (٢٢٨) وكالبَرْقِ وكالرِيحِ وَكأجاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكابِ ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ، وناجٍ مَخْدوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ في نارِ جَهَنَمَ (٢٢٩) حتى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً ، فما أنتم بأَشَدَّ لي مُنَاشَدَةً في الحَقِّ قد تَبَيَّنَ لكم مِن المؤمِن يَومَئِذٍ للجَبَّار ، وإذا رأوا أنَّهمْ قَدْ نَجَوْا في إخوانِهِمْ (٢٣٠) ، يقولونَ : رَبَّنَا ، إخوانُنا كانوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ويَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ (٢٣١) مَعَنَا فيَقولُ اللهُ تَعالى : اذْهَبوا فمن وَجَدْتُمْ في قلبِهِ مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجُوهُ ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ على النَّارِ ، فيَأتونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قد غابَ في النارِ إلى قَدَمِهِ وإلى أَنْصافِ ساقَيْهِ فيُخْرِجونَ مَنْ عَرَفوا ثُمَّ يعودونَ ، فيقولُ : اذهَبُوا فمن وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثقالَ نِصفِ دينارٍ فأخرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ من عَرَفوا . ثُمَّ يَعودون فيقولُ : اذهَبُوا فمن

---

(٢٢٧) عقيفة : أي ملوية كالصنارة .

(٢٢٨) كالطرف : أي أنه يمر بسرعة الطرف ، وهو إطباق الجفن على الجفن .

(٢٢٩) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام · قسم يسلم فلا يناله شيء وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكدس ويسقط في جهنم ومكدوس في النار أي مدفوع .

(٢٣٠) أي العُصاة الذين سقطوا في النار .

(٢٣١) وفي رواية : ويحجون .

وَجَدْتُمْ في قَلبهِ مثقالَ ذَرَّةٍ من ايمان فأَخرِجوهُ فَيُخرِجُونَ من عَرَفُوا قالَ أبو سعيد : فإنْ لَمْ تُصَدِّقُوني فاقرءوا (إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مثقالَ ذَرَّةٍ وإن تكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها) ، « فَيَشْفَعُ النبيُّونَ والملائكةُ والمُؤمنونَ فيقولُ الجبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً منَ النارِ فيُخرِجُ أقواماً قد امتُحِشُوا (٢٣٢) فيُلْقَوْنَ في نَهرٍ بأفواهِ الجَنَّةِ يقالُ لهُ ماءُ الحَياةِ فَيَنْبِتونَ في حافَتَيْهِ كما تَنْبُتُ الحبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ (٢٣٣) قد رأيتموها إلى جانبِ الصَّخْرَةِ إلى جانبِ الشَّجَرَةِ فما كانَ إلى الشمسِ منها كانَ أخضَرَ وما كانَ منها إلى الظِّلِّ كانَ أبيَضَ فَيَخْرُجُونَ كأنَّهُمُ اللُّؤلُؤُ فيُجْعَلُ في رِقابِهِمُ الخَواتيمُ ، فَيَدْخُلُونَ الجنَّةَ فيقولُ أهلُ الجَنَّةِ : هؤلاءِ عتقاءُ الرحمن ، أدْخَلَهُمُ الجنَّةَ بِغيرِ عَمَلٍ عَمِلوهُ ولا خيرٍ قَدَّمُوهُ فيقالُ : لهم : لَكُم ما رَأَيتم وَمِثْلَهُ مَعَهُ » متفق عليه (٢٣٤) .

روايةٌ أُخرى لحديثِ الصِّراطِ :

٦١ - عن أبي هريرَةَ رضي اللهُ عنه قال : قال أُناسٌ يا رسولَ

---

(٢٣٢) امتحشوا : أي احترقوا .

(٢٣٣) حميل السيل : هو ما يجيء به السيل من طين وغيره .

(٢٣٤) الفتح ١٩٨/١٧ ومسلم ١٦٧ .

...، هل نرى رَبَّنا يومَ القيامة ؟ قال : « هَلْ تُضارُونَ في الشمسِ ليسَ دونها سَحابٌ » ؟ قالوا : لا يا رسولَ اللهِ . قال : « هل تضارُونَ في القمَرِ ليلةَ البَدْرِ ليسَ دونَهُ سحابٌ » ؟ قالوا : لا يا رسولَ اللهِ قالَ : « فإنَّكُمْ ترونَهُ يومَ القيامَةِ كذلكَ ، يَجْمَعُ اللهُ الناسَ فيقولُ : من كان يعبُدُ شيئاً فَلْيَتْبَعْهُ ، فيَتَبعُ من كان يعبُدُ الشمسَ وَيتبعُ من كان يعبُدُ القَمَرَ ويتبعُ من كان يعبُدُ الطواغيتَ (٢٣٥) وتبقي هذه الأُمَّةُ فيها مُنافِقوها فيأْتيهمُ اللهُ في غَيْرِ الصُّورَةِ التي يَعرِفُونَ فيقولُ : أَنا رَبُّكُمْ فيقولونَ : نعوذُ باللهِ مِنْكَ ، هذا مكانُنَا حتى يأْتِينا رَبُّنَا فإذا أتانا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيأْتِيهِمُ اللهُ في الصُّورَةِ التي يَعْرِفُونَ فيقولُ : أَنا رَبُّكُمْ فيقولونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ ، ويُضْرَبُ (٢٣٦) جِسْرُ جَهَنَّمَ ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : فأكونُ أَوَّلَ من يُجيزُ ودعاءُ الرُّسُلِ يَومَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وبهِ كَلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ (٢٣٧) ، أما رَأَيْتُم شوكَ السَّعْدانِ » ؟ قالوا : بَلَى يا رسولَ اللهِ قال : « فإنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ

(٢٣٥) الطواغيت : جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون الله تعالى .

(٢٣٦) أي يمد الصراط على جهنم .

(٢٣٧) السعدان : نبت مستدير يكون بحجم الأظفر وله شوك محقف من كل الجوانب .

أنَّها لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلاَّ اللهُ فَتَخْطَفُ الناسَ بأعمالِهِمْ ، مِنهُمُ المُوبَقُ (٢٣٨) بِعَمَلِهِ ومِنهُم المُخَرْدَلُ (٢٣٩) ثم يَنْجُو ، حتى إذا فَرَغَ اللهُ من القَضَاء بينَ عِبادِهِ وأرادَ أن يُخرِجَ مِنَ النَّارِ من أرادَ أن يُخرِجَ ممن كانَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ أمَرَ الملائِكَةَ أنْ يُخرِجُوهم فَيَعْرِفونَهم بِعلامةِ آثارِ السجودِ وحَرَّمَ اللهُ على النارِ أنْ تأكُلَ من ابنَ آدَمَ أثَرَ السجودِ فيُخرِجُونَهُمْ قد امْتُحِشُوا فيُصَبُّ عليهم ماءٌ يقالُ لَهُ ماءُ الحياةِ فَيَنْبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ في حَمِيلِ السَّيْلِ ويَبْقَى رَجُلٌ مُقْبلٌ بِوَجْهِهِ على النارِ فيقول : يا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُها (٢٤٠) وأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا (٢٤١) فاصْرِفْ وجهي عَنِ النَّار ، فلا يزالُ يَدعو اللهَ فيقولُ : لَعَلَّكَ إنْ أعطيتُكَ أن تسألَنِي غَيْرَهُ فيقولُ : لا وعِزَّتِكَ لا أسألُكَ غَيْرَهُ فيُصْرَفُ وجهُهُ عن النارِ ثم يقولُ بعدَ ذلك : يا رَبِّ قَرِّبْنِي إلى بابِ الجَنَّةِ فَيقولُ : أليسَ قد زَعَمْتَ أنْ لا تَسْألَنِي غيرَهُ ؟ وَيْلَكَ يا ابنَ آدَمَ ما أغدَرَكَ ، فلا يزالُ يدعو ، فيقولُ : لَعَلِّي إنْ أعطيتُكَ ذلكَ تَسألُنِي غيرَهُ فيقولُ : لا وعِزَّتِكَ لا أسألُكَ غيرَهُ فَيُعْطِي اللهَ ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ أنْ لا يسألَهُ

---

(٢٣٨) الموبق : أي المهلَك .

(٢٣٩) المخردل : أي المقطع بالكلاليب .

(٢٤٠) قشبني : أي سمني وآذاني وأهلكني .

(٢٤١) ذكاؤها : أي لهبها وشدة وهجها .

غيرَهُ فيُقَرِّبُهُ إلى بابِ الجنَّةِ فإذا رَأى ما فيها سَكَتَ ما شاءَ اللهُ أن يَسْكُتَ ثم قالَ : رَبِّ أَدْخِلْنِي الجنَّةَ ، ثُمَّ يقولُ : أَوَلَيْسَ قد زَعَمْتَ أَنْ لا تَسأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ ويلَكَ يا ابنَ آدَمَ ما أَغْدَرَكَ فيقولُ : يا رَبِّ لا تجعَلْني أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلا يَزالُ يَدعو حتى يَضْحكَ ، فإذا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لهُ بالدُّخولِ فيها ، فإذا دَخَلَ فيها قيلَ : تَمَنَّ من كذا ، فَيَتَمَنَّى ، ثم يقالُ لهُ : تَمَنَّ من كذا ، فيَتَمَنَّى حتى تَنْقَطِعَ بهِ الأمانِيُّ ، فيقولُ : هذا لَكَ ومثلُهُ معهُ » قال أبو هريرةَ : وذلكَ الرجلُ آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دُخُولاً . قال عَطاءُ : وأبو سعيدٍ جالسٌ مع أبي هريرةَ لا يُغَيِّرُ عليه شيئاً من حديثِهِ حتى انتهى إلى قولِهِ : « هذا لَكَ ومثلُهُ مَعَهُ » قال أبو سعيدٍ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يقولُ : هذا لَكَ وَعَشْرةُ أمثالِهِ ؟ قالَ أبو هريرةَ : حَفِظْتُ « مِثْلُهُ مَعَهُ » متفق عليه (٢٤٢) .

شفاعةُ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم في اخراجِ المؤمنين من النارِ :

فإذا فرغ اللهُ جلَّ ذكرهُ من القضاء بين العبادِ وعَرَفَ كلٌّ سبيلَه ، أَذِنَ سبحانَهُ بالشفاعةِ ، فشفع الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون فيمن كانَ في قلبهِ مثقالُ ذرّةٍ من إيمانٍ وشفع الملائكةُ

---

(٢٤٢) الفتح ١٤/٢٤١ ومسلم ١٦٣ .

فيمن احترقَ من أهلِ الذنوب والمعاصي حتى إذا شفع هؤلاء قال الرحمنُ : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه .

٦٢ – عن مَعْبدِ بن هلالٍ العنزي عن أنسٍ بن مالكٍ رَضي اللهُ عنه قالَ : حدثنا محمدٌ صلىً اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ : « إذَا كانَ يومُ القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهُم إلى بعضٍ فيأتونَ آدَمَ فيقولونَ لهُ : اشْفَعْ لِذُرِّيَتِكَ فيقولُ : لستُ لَها » وساقَ الحديثَ حتى قالَ : « فأُوتي فأقولُ : أَنا لَهَا فأَنْطَلِقُ فأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبي فيُؤْذَنُ لِي فأَقُومُ بينَ يديهِ فأَحْمَدُهُ بمَحَامِدَ لا أَقدِرُ عليهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللهُ ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً فيقالُ لِي : يا محمدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأَقولُ : يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي فيقالُ : انْطَلِقْ فمن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حَبَّةٍ من بَرَّةٍ أو شَعيرةٍ من إيمانٍ فأَخْرِجْهُ مِنْها ، فأَنْطَلِقُ فأَفْعَلُ ، ثم أَرْجِعُ إلى رَبِّي فأَحمَدُهُ بتِلكَ المحامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً فيقالُ لِي : يا محمدُ ارْفَعْ رأْسَكَ وقُل يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأَقولُ : أُمَّتِي أُمَّتِي فيقالُ لي : انْطَلِقْ فمن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ

فأخرِجْهُ منها ، فأَنطَلِقُ فأَفْعَلُ ثم أعودُ إلى رَبِّي فأحمَدُهُ بتِلْكَ المحامِدِ ثم أَخِرُّ لهُ ساجداً فيقالُ لِي : يا محمدُ ارْفَعْ رأسَكَ وقل يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقولُ : يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فيقالُ لِي : انطَلِقْ فمن كانَ في قَلبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى من مِثقالِ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ فأَخرِجْهُ من النارِ ، فأَنطَلِقُ فأَفْعَلْ » .

هذا حديثُ أنسٍ الذِي أَنْبَأَنَا بِهِ ، فخرَجنا من عندِهِ فلما كنا بظَهْرِ الجَبَّانِ (٢٤٣) قُلْنَا : لو مِلنا إلى الحَسَنِ (٢٤٤) فسلَّمنا عليه ، وهُوَ مُسْتَخفٍ في دارِ أبي خليفَةَ ، قالَ : فَدَخَلْنَا عليهِ فسلَّمنا عليهِ فقُلنا : يا أبا سعيدٍ جئنا من عندِ أخيكَ أبي حَمزَةَ فلم نَسْمَعْ مِثلَ حديثٍ حدَّثَنَاهُ في الشفاعةِ قالَ : هِيْهِ (٢٤٥) ، فَحَدَّثْنَاهُ الحديثَ فقالَ : هِيهِ ، قُلْنَا ما زادَنا ، قالَ : قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ منذُ عِشرينَ سنةً وهو يَومئِذٍ جَمِيعٌ (٢٤٦) ولقد تَرَكَ شيئاً ما أَدْرِي أَنَسِيَ الشيخُ أو كَرِهَ أنْ يُحَدِّثَكُمْ فتَتَّكِلُوا قلنا له : حدِّثنا ، فضَحِكَ وقالَ : خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ ما ذكرتُ لكُمْ هذا إلاَّ وأنَا أُريدُ

---

(٢٤٣) الجبان والجبانة : هما الصحراء ويسمى بهما المقابر لأنها تكون في الصحراء .

(٢٤٤) هو الحسن البصْري رحمه الله .

(٢٤٥) هيه : لفظه تقال عند الاسترادة من الحديث .

(٢٤٦) جميع : أي مجتمع القوة والحفظ .

أَنْ أُحدِّثَكُمُوهُ : « ثم أَرْجِعُ إلى رَبِّي في الرَّابِعَةِ فأحمَدُهُ بِتِلْكَ المحامِدِ ثم أخِرُّ لَهُ ساجِداً فيقالُ لِيَ : يا محمدُ ارْفَعْ رأْسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقولُ : يا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قالَ : لا إلهَ إلاَّ اللهُ قالَ : ليسَ ذاكَ لَكَ (أَوْ قالَ : لَيْسَ ذاكَ إِلَيْكَ) ولكِنْ وعزَّتِي وكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وجِبْرِيَائِي (٢٤٧) لأُخْرِجَنَّ منها من قالَ : لا إلهَ إلاَّ اللهُ » متفق عليهِ (٢٤٨) .

شفاعةُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم في أهلِ الكبائرِ من أُمَّتِهِ :

٦٣ – عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شفاعةً لأُمَّتِي يومَ القيامةِ فَهِيَ نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللهُ من ماتَ من أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً » متفق عليه (٢٤٩) .

أسعدُ الناسِ بشفاعةِ النبي صلى الله عليه وسلم :

٦٤ – عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلتُ يا رسولَ

---

(٢٤٧) أي عظمتي وسلطاني وقهري .

(٢٤٨) الفتح ٢٥٢/١٧ ومسلم ١٨٢ .

(٢٤٩) الفتح ٢٢٨/١٧ ومسلم ١٨٩ .

اللهِ ، مَنْ أسْعَدُ الناسِ بِشَفاعَتِكَ يومَ القيامةِ ؟ فقالَ : « لقد ظَنَنْتُ يا أَبا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عن هذا الحديثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رأَيْتُ من حِرْصِكَ على الحديثِ ، أَسْعَدُ الناسِ بِشَفاعَتِي يومَ القيامةِ من قالَ : لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، خالِصاً من قِبَلِ نَفْسِهِ (٢٥٠) » رواه البخاري (٢٥١) .

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ : المرادُ بهذِهِ الشفاعةِ المسؤول عنها هنا بعضُ أنواعِ الشفاعةِ وهي التي يقولُ صلى الله عليه وسلَّم : « أُمتي أُمتي » فيقال له : أخرِجْ مِنَ النَّارِ مَنْ في قلبِه وزنُ كذا من الإيمان ، فأسعدُ الناسِ بهذه الشفاعةِ من يكونُ إيمانُهُ أكملَ مِمَّنْ دونِه ، وأَمَّا الشفاعةُ العظمى في الإراحةِ من كَرْبِ الموقفِ فأسْعَدُ الناسِ بها من يَسْبِقُ إلى الجنَّةِ وهم الذين يدخلونها بغيرِ حسابٍ ، ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغيرِ عذابٍ بعد أنْ يُحاسَبَ ويستحقَ العذابَ ، ثم من يُصيبُه لفحٌ من النارِ ولا يسقطُ (٢٥٢) .

---

(٢٥٠) أي قال ذلك باختياره .

(٢٥١) الفتح ١٤/٢٣٨ .

(٢٥٢) الفتح ١٤/٢٣٨ .

إخراجُ العصاةِ الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمةً من عند الله تعالى :

٦٥ - عن أبي سعيدٍ الخدريٍّ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : «أَمَّا أَهْلُ النارِ الذينَ هُمْ أَهلُهَا فإنَّهم لا يَموتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ ، ولكِنْ ناسٌ أصابَتْهُمُ النارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قالَ بِخَطَايَاهُمْ - فأَماتَهُمْ إماتَةً حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذِنَ بالشَّفاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ (٢٥٣) فَبُثُّوا عَلَى أَنْهارِ الجنةِ ثُمَّ قِيلَ : يا أَهلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عليهم فينبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ تكونُ في حَمِيلِ السَّيْلِ» (٢٥٤) فقالَ رَجُلٌ من القَوْمِ : كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ كانَ بالبادِيَةِ . رواه مسلم (٢٥٥) .

قال النووي رحمه الله : وأما معني الحديثِ فالظاهرُ واللهُ أعلمُ أن الكفارَ الذين هم أهلُ النارِ والمستحقونَ للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى (**لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها**) وكما قال تعالى (**ثم لا يموت**

---

(٢٥٣) ضبائر ضبائر : أي جماعات متفرقة

(٢٥٤) حميل السيل : هو ما يجيء به السيل من طينٍ وغيره ونبات الحب فيه سريع .

(٢٥٥) مسلم ١٧٢ .

فيها ولا يحيى) وهذا جارٍ على مذهبِ أهلِ الحقِ أنَّ نعيمَ أهلِ الجنةِ دائمٌ وأن عذابَ أهلِ الخلودِ في النارِ دائمٌ ، وأما قوله صلى اللهُ عليه وسلم : « ولكنْ ناسٌ أَصابَتْـهُمُ النارُ » إلى آخره فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يُميتُـهُم اللهُ تعالى إماتةً بعد أن يُعذَّبوا المدةَ التي أرادَها اللهُ تعالى ، وهذه الإماتة إماتةٌ حقيقية يَـذْهَبُ معها الإحساسُ ويكون عذابُهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النارِ من غير إحساسٍ المدةَ التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فَحماً فيُحملون ضبائر كما تُحْمَلُ الأمتعةُ ويلقون على أنهارِ الجنة فيُصبُ عليهم ماءُ الحياةِ فيحيون وينبتون ويصيرون إلى منازِلهم ، وتكمل أحوالُهم فهذا هو الظاهرُ من لفظِ الحديثِ ومعناه واللهُ أعلمُ (٢٥٦) .

أصحابُ الأعرافِ :

قالَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ (وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النارِ أَنْ قد وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُم ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بينَهُمْ أَنْ لعنَةُ اللهِ على الظَّالمِينَ .

(٢٥٦) شرح مسلم ٣٨/٣ .

الذين يَصُدُّونَ عن سبيلِ الله وَيَبغُونَها عِوَجاً (٢٥٧) وَهُمْ
بالآخِرَةِ كافِرون . وبينهما حِجَابٌ (٢٥٨) وَعلى الأعْرافِ
(٢٥٩) رجال يَعْرِفُونَ كُلاًّ بسيماهُمْ (٢٦٠) ونَادَوْا أصحابَ الجنةِ
أن سَلامٌ عليكُمْ لَمْ يَدخلوها وهم يَطْمَعُونَ . وإذا صُرِفَتْ
أبصَارُهمْ تِلْقَاءَ أصْحابِ النار قالوا رَبَّنا لا تجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ
الظالمِيْنَ . ونادَى أصْحَابُ الأعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُم
بسِيْمَاهُمْ قَالُوا ما أغْنَى عنكُم جمعُكُمْ وما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ .
أهؤُلاءِ الذين أقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخلوا الجنةَ لا
خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون) .

٦٦ - وعن حذيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ : أصْحَابُ الأعْرافِ قَوْمٌ
تَجاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهمْ النارَ وَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئاتُهمْ عن
الجنةِ فإذا صُرِفَتْ أبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أصْحابِ النار قالوا : رَبَّنا
لا تَجْعَلْنَا مَعَ القَومِ الظالِمِيْنَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كذلكَ إذْ اطَّلَعَ
عَلَيهِمْ رَبُّكَ قالَ : قُومُوا ادْخُلُوا الجَنَّةَ فإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ .
رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا الحديث صحيح على

---

(٢٥٧) اي يبغون أن تكون السبيل إلى الله تعالى معوجة غير مستقيمة حتى لا يسلكها أحدٌ وذلك بكثرة ما يرمون به هذه السبيل بالشبهات والتهم وغيره .

(٢٥٨) حجاباً : أي حاجزاً .

(٢٥٩) الأعراف : قيل أنه سور وقيل إنه تل بين الجنة والنار وقيل غير ذلك والله أعلم بالصواب .

(٢٦٠) أي يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه .

شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٦١).

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ : لما ذَكَرَ اللهُ تعالى مخاطبةَ أهلِ الجنةِ معَ أهلِ النارِ نَبَّهَ أنَّ بَيْنَ الجنةِ والنارِ حجاباً وهو الحاجزُ المانعُ من وصولِ أهلِ النارِ إلى الجنة . قال ابن جرير الطبري رَحِمَه اللهُ : وهو السورُ الذي قالَ اللهُ تعالى فيه (**فضُرِبَ بينهم بسور له بابٌ باطِنُهُ فيهِ الرحمةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العذابُ**) وهو الأعرافُ الذي قال اللهُ تعالى فيه (**وعلى الأعرافِ رجالٌ**) قال : والأعرافُ جَمْعُ عُرفٍ وكلُّ مرتفع من الأرضِ عند العربِ يسمى عُرفاً وإنما قيل لعُرْف الديكِ عُرْفاً لارتفاعه قال ابنُ كثير : واخْتَلَفَتْ عباراتُ المفسرينَ في أصحابِ الأعرافِ مَنْ هُمْ ؟ وكلُّها قريبةٌ ترجع إلى معنى واحدٍ وهو أنهم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم ، نص عليه حذيفةُ وابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ وغيرُ واحدٍ من السَلَفِ والخَلَفِ رَحِمَهُمْ اللهُ (٢٦٢) .

القنطرةُ بينَ الصِراطِ والجنةِ :

فإذا جازَ المؤمنونَ على الصِراطِ ونَجَوْا من النار وشفعوا

(٢٦١) المستدرك ٢/٣٢٠ .

(٢٦٢) تفسير ابن كثير ٣/١٧١ .

فيمن أَذنَ اللهُ تعالى من أهلِ النارِ دخلوا الجنةَ إلا مَنْ كانَتْ لهُ مظلمةٌ عِنْدَ أخيهِ فإنهم يُحبَسُونَ على قنطرةٍ بينَ الجنَّةِ والنارِ لِيَقْتَصَّ بعضُهم من بعضٍ ثم يُؤذَنُ لهم في دخولِ الجنةِ .

٦٧ – عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « يَخْلُصُ المؤمِنونَ من النَّارِ فيُحْبَسُونَ على قَنْطَرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فيُقْتَصُّ لِبَعْضِهم مِنْ بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهُم في دخولِ الجنةِ ، فوالذي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بمَنْزِلِهِ في الجنةِ منهُ بِمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنيا » رواه البخاري (٢٦٣) .

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ : ولعلَّ أصحابَ الأعرافِ منهم ، يعني رَحِمَهُ اللهُ الذين كانت عندهم مظالمُ كثيرةٌ لإخوانهم بحيثُ تَستَوي حسناتُهم وسيئاتُهم فيطولُ حَبْسُهم ويَرَوْنَ أصحابَ الصِراطِ يسقُطون في النارِ فيُشْفقون منها ويرون أصحابَ الجنةِ في الجنةِ فينادونهم ﴿ **أن سلامٌ عليكم لَمْ يَدخُلوها وهم يطمعون** ﴾ واللهُ أعلمُ .

---

(٢٦٣) الفتح ١٤/١٩٠

النارُ يدخلُها الجبارون والجنةُ يدخُلُها الضعفاءُ :

٦٨ – عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «تَحاجَّتِ الجنَّةُ والنارُ فقالت النارُ : أُوثِرْتُ بِالمُتَكبِّرينَ والمُتجبِّرينَ وقالتِ الجنةُ : مالي لا يدخلُني إلاّ ضُعفَاءُ الناس وسَقَطُهُمْ ؟ (٢٦٤) قالَ اللهُ تباركَ وتعالى للجنةِ : أنْتِ رَحْمَتِي أرْحَمُ بكِ من أشاءُ من عِبادي وقالَ للنارِ : إنَّما أنْتِ عَذابٌ أُعذِّبُ بكِ من أشاءُ من عِبادِي ، ولِكُلِّ واحدةٍ منهُمَا مِلؤهَا ، فأمَّا النارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقولُ : قَطْ قَطْ (٢٦٥) فهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى (٢٦٦) بَعْضُها إلى بَعْضٍ ولا يَظْلِمُ اللهُ عزَّ وجلَّ من خَلْقِهِ أحَداً ، وأمَّا الجنَّةُ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنْشِئُ لها خَلْقاً» متفق عليه (٢٦٧).



(٢٦٤) أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم .

(٢٦٥) أي حسبي يكفيني هذا .

(٢٦٦) أي يضم بعضها إلى بعض فتجتمع على من فيها .

(٢٦٧) الفتح ١٠ / ٢١٩ ومسلم ٢١٨٧ .

صِفَةُ النَّارِ وَأَهْلِهَا

هذه والله دارُ الذلّ والهَوانِ والعذابِ والخُذْلانِ : دارُ الشهيقِ والزَفَراتِ والأنين والعبرات دارٌ أهلُها أهلُ البؤسِ والشقاء والندامةِ والبكاء ، الأغْلالُ تجمَعُ بينَ أيديهم وأعناقِهم . والنارُ تَضْطَرِمُ من تحتهم ومنْ فَوقِهم ؛ شرابُهم من حميمٍ يُصهرُ به مافي بطونِهم والجلود ومأكلهم مِن شجَرِ الزقومِ كالمُهلِ يغلي في البُطون كغَلي الحَميم ، يَدْعون على أنفسِهم بالموت فلا يُجابون ويسألونَ ربهم الخروجَ منها فيُقال لهم إخسأوا فيها ولا تُكلمون ، كيف لو أبصرتهم وهم يُسحبون فيها على وجوههم وهم لا يُبصرون ؟ كيف لو سَمِعْتَ صُراخهم وَعويلَهم وهم لا يَسمعون ؟

تلاعن المشركينَ في النارِ ؟ :

ثم يُلقى المشركونَ في النار أُمةً بعد أُمة جنِّهم وإنسهم كلما دخلت أُمةٌ لعنت أُختَها حتى إذا إجتمع فيها أهلُها جميعاً إشتكت آخرُ أُمةٍ إلى الله تعالى أولَ أُمة لأنهم هم الذينَ أضلُّوهم عن سواءِ السبيلِ ؛ وقالتْ أولُ أُمةٍ لآخرِ أمةٍ : لقد ضللتم كما ضللنا على الرغمِ منَ الحججِ الكثيرةِ التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على ألسِنَةِ الرسلِ ولو هدانا الله لهديناكُم . سواء علينا وعليكم أصَبرْنا أمْ جَزَعْنا ما لنا من خلاص .

قالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (قال ادْخُلُوا في أمَمٍ قد خَلَتْ من قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنّ والإنْسِ في النارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حتى إذا ادّاركوا فيهَا جميعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُوْلاهُمْ رَبَّنَا هؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فآتِهِم عَذَاباً ضِعْفاً مِن النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ولكِنْ لا تَعْلَمُوْنَ . وقالَتْ أُوْلاَهُمْ لأُخْراهُمْ فما كانَ لَكُمْ علَينا منْ فَضْلٍ فَذوقوا العَذابَ بما كُنتمْ تكْسِبُونَ) .

وقالَ اللهُ تَعالىٰ (وإذْ يَتَحاجُونَ في النَّارِ فيقولُ الضعفاءُ للذينَ اسْتكْبرُوا إنَّا كُنَّا لَكُمْ تبَعاً فَهَلْ أَنْتم مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً منَ النَّارِ . قالَ الذينَ استكبَرُوا إنَّا كُلٌّ فيهَا إنَّ الله قَد حَكَمَ بينَ العِبَادِ . وقالَ الذينَ في النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ العَذابِ . قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأتيكُمْ رُسُلُكُمْ بالبَيِّنَاتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوْا وما دُعَاءُ الكافِرِينَ إلاَّ في ضَلالٍ) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ (وَبَرَزُوا للهِ جَميعاً فقالَ الضُّعفاءُ للذينَ استكْبَرُوا إنَّا كُنَّا لَكُمْ تبعاً فَهَلْ أَنْتمْ مُغْنُونَ عنَّا منْ عَذابِ اللهِ من شيءٍ قالوا لو هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سواءٌ عَلَيْنَا أَجزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ما لَنَا مِنْ محيصٍ) (٢٦٨)

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤهُ (إنَّ اللهَ لَعَنَ الكافرينَ وأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً .

(٢٦٨) أي ما لنا من خلاص .

خالدينَ فيها أَبداً لا يَجِدونَ وَلِيًّاً ولا نَصيراً . يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ في النَّارِ يقولونَ يَا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولاَ . وقالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سادَتَنَا وَكُبَراءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العذابِ والْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيرًا)

وقال اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَبُرِّزَتِ (٢٦٩) الجَحِيمُ للغاوِين . وقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنتم تَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ هلْ ينصرونكم أوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكُبْكِبُوا (٢٧٠) فيها همْ والغاوُونَ . وجنودُ إبليسَ أَجْمَعُونَ . قالوا وهم فيها يَخْتَصِمون ، تَاللهِ إنْ كُنَّا لَفي ضَلالٍ مُبِيْنٍ . إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالمينَ . وما أَضَلَّنا إلاَّ المجْرِمُونَ . فما لَنَا من شافِعِيْنَ . ولا صديقٍ حميمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فنكونَ من المؤمنِينَ) .

تَبَرُّؤُ الشيطانِ من أتباعِهِ في النارِ :

فلما قَضَى اللهُ بينَ عباده على هذا النحو وأُلْقِي الذينَ كفروا في جهنم ناداهم الشيطان فتبرأ من أن يكونَ شريكاً للهِ كما جعلوه في الحياةِ الدنيا ما يأمرهم بأمر إلا كانوا مذعنين حتى عَصَوا اللهَ ورسلَه مع قيامِ حُجَجِ الأنبياء والمُرْسَلِينَ عليهم واتَّبعُوا الشيطانَ مع انعدام الدليل والحجة .

---

(٢٦٩) أي أُظهرت وكشف عنها .

(٢٧٠) أي كبوا فيها أي أُلقي بعضهم على بعض

قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤهُ (وقالَ الشَّيطانُ لمَّا قُضِيَ الأمر إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وما كانَ لِيَ عليكُمْ مِنْ سلطان إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فلا تلوموني ولومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ (٢٧١) وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إنِّي كَفَرْتُ بما أَشْرَكْتُمُونِ من قَبْلُ إنَّ الظالمينَ لهم عَذابٌ أَلِيمٌ) .

يَقولُ إبليسُ : ما أَستطيعُ اليومَ أن أَنفعَكُمْ فأُخلِّصَكُمْ من هذا العذابِ الأليمِ ولا تقدرونَ أنتم على شيءٍ من ذلكَ فتخلصوني مما أنا فيه منَ العذابِ العظيمِ . إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَكُمْ وَعْداً صادقاً مفعولاً فعصيتم وكَذَّبْتُمْ ، وَوَعَدْتُكُمْ وعداً كاذباً فَأَجَبْتُمْ وصدَّقْتُمْ فلا تلوموني ولوموا أَنفُسَكُمْ إنَّ الظالمين لَهُمْ عَذابٌ اليمٌ .

حسرةُ أهلِهـــا :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وأَسَرُّوا الندامَةَ لما رَأَوُا العذابَ وَجعلنا الأَغلالَ في أعناقِ الذينَ كَفَروا هل يُجزَونَ إلاَّ ما كانوا يَعْمَلون) وقالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤهُ (وَيَوْمَ يَعضُّ الظالمُ على يديهِ يقولُ يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً . يا وَيْلَتا لَيْتني لم أَتَّخِذْ

(٢٧١) مُصْرِخِكُمْ : أي نافعكم ومنقذكم ومخلصكم .

فُلاناً خَليلاً . لقَد أَضَلَّني عن الذِكْرِ بعدَ إذْ جاءَني وكانَ الشيطانُ للإنسانِ خَذُولاً) .

٦٩ – وعن أَبي هرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ : قـال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلم : « لا يَدْخل أَحَدٌ الجنةَ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ منَ النَّارِ لَو أَساءَ لِيَزْداد شُكْراً وَلا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَة » رواه البخاري (٢٧٢)

٧٠ – وعن عبد الله بن عمر رضي اللهُ عنهما قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إذا صارَ أَهْلُ الجنَّة الى الجنَةِ وأَهلُ النارِ إلى النَّارِ جيْءَ بالمَوتِ حتى يُجْعَلَ بينَ الجنَّة والنَّارِ ثُم يُذْبَحُ ثم يُنادي مُنادٍ : يا أَهْلَ الجنَّةِ لا مَوْتَ ، يا أَهْلَ النَّارِ لا موتَ فيَزْدادُ أَهْلُ الجنَّةِ فَرَحاً إلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إلى حُزْنِهِمْ » متفق عليـهِ (٢٧٣) وزادَ مسلم عن أبي سعيدٍ رَضي اللهُ عنه قالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمْ : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ في غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤمِنون » وأشارَ بِيَدِهِ إلى الدنيا (٢٧٤) .

---

(٢٧٢) الفتح ١٤/٢٣٧ .

(٢٧٣) الفتح ١٤/٢٠٩ ومسلم ٢١٨٩

(٢٧٤) مسلم ٢١٨٨ .

دوامُ عذابِها :

قالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ (إنَّ المجرمينَ في عذابِ جَهَنَّمَ خالدونَ . لا يُفَتَّر عنهُم وهم فيه مُبْلِسونَ . (٢٧٥) وما ظَلَمْناهُمْ ولكنْ كانوا هم الظَّالِمينَ . ونادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ (٢٧٦) علينا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُون . لقد جئناكم بالحَقِّ ولكنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهون) .

وقالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ (والذينَ كَفَرُوا لهم نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عليهِم فَيَمُوتُوا ولا يُخَفَّفُ عنهُمْ منْ عَذابِها كذلكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فيها رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحاً غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ (٢٧٧) وجاءَكُمْ النَّذيرُ فذُوقُوا فما للظالمينَ من نصيرٍ) .

٧١ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النارِ ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكونَ الدم » يعني مكان الدمع . رواه الحاكم (٢٧٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم

---

(٢٧٥) لا يفتر : أي لا يخفف ، مبلسون : أي آيسون من كل خير .

(٢٧٦) ليقضِ علينا : أي يقبض أرواحَنا .

(٢٧٧) أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم .

(٢٧٨) المستدرك ٦٠٥/٤ .

يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني (٢٧٩) .

أصفادُها وَقَطِرانُها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءإذا كُنَّا تُراباً ءإنَّا لَفِي خَلْقٍ جَديدٍ (٢٨٠) أُوْلئِكَ الذينَ كَفَرُوابِرَبِّهِمْ وَأُوْلئِكَ الأَغْلالُ في أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدونَ) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ (٢٨١) في الأَصْفادِ سَرابِيلُهُمْ من قَطِرانٍ (٢٨٢) وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) .

شجرةُ الزَّقُّومِ (٢٨٣) :

وقالَ اللهُ تَعالَى (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طعامُ الأَثيمِ . كالمُهْلِ (٢٨٤) يَغْلِي في البُطونِ . كَغَلْيِ الحَميمِ . (٢٨٥)

---

(٢٧٩) صحيح الجامع ١٨٨/٢ .

(٢٨٠) أي هل إذا متنا يمكن أن نبعث من جديد .

(٢٨١) مقرّنين : أي مشدودين بعضهم إلى بعض .

(٢٨٢) أي أن ثيابهم من قطران وهو ألصق شيء بالنار .

(٢٨٣) شجرة الزقوم : شجرة في جهنم لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع سوء طعمها وريحها وطبعها .

(٢٨٤) المهل : ما ذاب من صفر أو حديد وقيل ضرب من القطران وقيل : هو الزيت الخاثر والله أعلم .

(٢٨٥) الحميم : الماء المغلي .

خُذوهُ فاعْتِلوهُ (٢٨٦) إلى سواءِ الجحيمِ (٢٨٧) . ثم صُبُّوا فَوْقَ رأسِهِ مِن عذابِ الحَميمِ . ذُقْ إنَّكَ أنتَ العَزيزُ الكَريمُ . إنّ هذا ما كنتمْ بهِ تمتَرُونَ (٢٨٨) .

وقالَ اللهُ تَعالىٰ (**أذٰلِكَ خيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إنَّا جَعلناهَا فِتنةً للظَّالمينَ (٢٨٩) . إنَّهَا شَجَرةٌ تَخرُجُ في أَصْلِ الجَحيمِ . طَلْعُها كأنَّهُ رُءوسُ الشياطِينِ . فإنَّهُمْ لآكِلونَ منها فمالِئونَ منها البُطُونَ . ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عليها لَشَوْبًا (٢٩٠) من حَميمٍ . ثم إنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلى الجَحيمِ . إنَّهم ألْفَوا آباءَهُم ضَالِّيْنَ . فَهُمُ على آثارِهِمْ يُهْرَعُوْنَ (٢٩١)** .

٧٢ – وعن عبدِاللهِ بن عباسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما أَنَّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم قَرَأَ هذهِ الآيةَ (**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُمْ مُسْلِمُونَ**) قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ

---

(٢٨٦) اعتلوه : أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره .

(٢٨٧) سواء الجحيم : أي وسطها .

(٢٨٨) به تمترون : أي به تشكون .

(٢٨٩) وذلك لتكذيبهم بما قالوا : صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجرَ .

(٢٩٠) شوباً : أي مزجاً من حميم وقيل : يمزج لهم الحميم بصديد وغساق وهو شراب نتن .

(٢٩١) يهرعون : أي يهرولون .

عليهِ وسلَّمَ : « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً من الزَّقومِ قُطِرتْ في دارِ الدُّنيا لأفْسَدَتْ على أَهْلِ الدنيا مَعَايِشَهُم فكيفَ بمَن يكونُ طَعَامَهُ » رواهُ الترمذي(٢٩٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني(٢٩٣) .

صديدُها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ(٢٩٤) جَهَنَّمُ ويُسْقَىٰ من مَّآءٍ صَدِيدٍ(٢٩٥) . يَتجرَّعُهُ (٢٩٦) ولا يَكَادُ يُسِيغُهُ ويأتِيهِ الموتُ من كُلِّ مكانٍ وما هو بميتٍ ومن ورائِهِ عذابٌ غليظٌ) .

قالَ اللهُ جَلَّ ثناؤهُ (هٰذانِ خَصْمَانِ اختَصَمُوا في رَبِّهِمْ فالذينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لهم ثيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ من فوقِ رؤوسِهِمُ الحميمُ . يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطونِهِمْ والْجُلُودُ . ولَهُم مَّقامعُ (٢٩٧) من حَدِيدٍ . كلما أَرادُوا أَن يَخْرُجُوا منها من غم أُعِيدُوا فيها وذوقُوا عذابَ الحريقِ) .

---

(٢٩٢) السنن ١٠/٥٤ .

(٢٩٣) المشكاة : ٣/١٠٥ .

(٢٩٤) أي أمامه كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخُذُ كل سفينةٍ غصباً) .

(٢٩٥) الصديد : القيْحُ والدمُ .

(٢٩٦) يتجرعه : أي يشربه قسراً .

(٢٩٧) المقامع : سياط تعمل من حديد رؤوسها معوجة

عقوبةُ الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهَوْن عن المُنْكَرِ ويأتونه :

٧٣ – عن أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يومَ القيامَةِ فيُلْقَىٰ في النارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ (٢٩٨) فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الحِمارُ بالرَّحىٰ فَيَجْتَمِعُ إليهِ أهلُ النارِ فيقولونَ : يا فُلانُ مَالَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تأْمُرُ بالمعْروفِ وَتَنْهَىٰ عنِ المُنْكَرِ ؟ فيقولُ : بَلَىٰ قَدْ كنتُ آمُرُ بالمعروفِ ولا آتِيْهِ وأنهَىٰ عن المُنكرِ وآتِيْهِ » متفق عليه (٢٩٩) .

بُعْدُ قَعْرِها :

٧٤ – عن أبي هريرَةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ : كُنَّا مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذ سَمِعَ وَجْبَةً فقال النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « تَدْرُوْنَ ما هذَا ؟ » قالَ قُلْنَا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ قال : « هذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النارِ مُنْذُ سبعينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي في النارِ الآنَ حتَّى انْتَهَى إلىَ قَعْرِهَا » رواه مسلم (٣٠٠) .

---

(٢٩٨) الأقتاب والأقصاب : أي الأمعاء .

(٢٩٩) الفتح ١٤٤/٧ ومسلم ٢٢٩١ .

(٣٠٠) مسلم ٢١٨٤ .

٧٥ - وقال عُتبةُ بنُ غَزْوَانَ رَضي اللهُ عنه : ذُكِرَ لَنَا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى من شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهوي فيها سَبعينَ عاماً لا يُدرِكُ لها قَعْراً ، وواللهِ لتُملأنَّ . رواه مسلم (٣٠١)

إحاطَةُ النارِ بأهلِها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ إنَّ الخاسِرينَ الذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهليهم يومَ القيامَةِ ألا ذلكَ هو الخسرانُ المُبِينُ . لهم من فوقِهِمْ ظُلَلٌ من النارِ ومن تَحتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ يا عبادِ فاتَّقُونِ) .

وقالَ اللهُ تَعالَى (لَو يَعلَمُ الذينَ كَفَرُوا حين لا يَكُفُّونَ عن وجوهِهِمُ النارَ ولا عن ظُهُورِهِمْ ولا هم يُنْصَرُونَ . بل تأتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فلا يَستطيعونَ رَدَّهَا ولا هم يُنْظَرُونَ) .

أهونُ أهلِ النارِ عذاباً :

٧٦ - عن النعمانِ بن بَشير رضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ وَشِرَاكانِ (٣٠٢) من نارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَما يَغْلِي المِرْجَلُ (٣٠٣) ما يَرَى أَنَّ أَحَداً اشَدُّ مِنْهُ عَذاباً وإنَّهُ

---

(٣٠١) مسلم ٢٢٧٨ .

(٣٠٢) الشراك : سير يكون على وجه النعل .

(٣٠٣) المرجل : هو القدر .

لأَهْوَنُهُمْ عَذاباً » رواه مسلم (٣٠٤) .

تفاوتُ العذابِ فيها :

٧٧ – عن سمرةَ بن جُنْدَبٍ رَضي اللهُ عنهُما أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمِ قالَ : « مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النارُ إلى كَعْبَيْهِ ، ومِنْهُمْ منْ تأْخُذُهُ النارُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومنهم من تأْخُذُهُ النارُ إلى حُجْزَتِهِ ، (٣٠٥) ومنهم من تأْخُذُهُ النارُ إلى تُرْقُوَتِهِ (٣٠٦) » رواه مسلم (٣٠٧) .

شدةُ حَرِّها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وما أدراكَ ما سَقَرُ . لا تُبْقِي ولا تَذَرُ**) أي أنها تأكلُ لحومَهم وعروقَهم وعصبَهم وجلودَهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون .

وقالَ اللهُ تَعالَى (**كَلاَّ إنَّها لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى . تَدْعُو من أَدْبَرَ وَتَولَّى . وَجَمَعَ فأَوْعَى**) أي أنها لِشِدَّةِ حرارتها تَبرى الجلدَ واللحمَ عن العظم وتنزعهُ ثم يُبدَّل بعد ذلك .

---

(٣٠٤) مسلم ١٩٦ .

(٣٠٥) الحجزة : معقد الإزار .

(٣٠٦) الترقوة : هو العظم المشرف من النحر .

(٣٠٧) مسلم ٢١٨٥ .

٧٨ – وعن أبي هريرةَ رَضي اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قال : « نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سبعينَ جُزْءاً من نارِ جَهَنَّمَ » قِيلَ : يا رسولَ اللهِ إنْ كَانَتْ لكافِيَةً . قالَ : « فُضِّلَتْ عليهِنَّ بتسعةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » متفق عليه (٣٠٨) .

صفةُ خلقِ الكافرِ فيها :

٧٩ – عن أبي هُرَيرَةَ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « ضِرْسُ الكافر – أو نابُ الكافِرِ – مِثْلُ أُحُدٍ وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ » رواه مسلم (٣٠٩) .

٨٠ – وعن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « ما بَيْنَ مَنْكِبَيْ الكافِرِ في النَّارِ مَسِيرَةُ ثلاثَةِ أيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ » متفق عليه (٣١٠) .

٨١ – وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضي اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إنَّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ إثْنَانِ وأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً وإنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ وإنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَما بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةَ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غريب من حديث الأعمش (٣١١)

---

(٣٠٨) الفتح : ١٤٣/٧ ومسلم ٢١٨٤ .

(٣٠٩) مسلم ٢١٨٩ .

(٣١٠) الفتح ٢١٤/١٤ ومسلم ٢١٩٠ .

(٣١١) السنن ٤٧/١٠ .

وقال الألباني : إسناده صحيح (٣١٢) .

النساءُ أكثرُ أهلِ النارِ :

٨٢ - عن أُسامةَ بْنِ زَيْدٍ رَضي اللهُ عنهُما عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « قُمْتُ عَلَى بابِ الجنةِ فَكَانَ عامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المساكينَ ، وأَصحابُ الجَدِّ (٣١٣) مَحْبوسونَ ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ وقُمْتُ على بابِ النارِ فإذا عامَّةُ مَنْ دَخَلَها النِّساءُ » متفق عليه (٣١٤) .

---

(٣١٢) المشكاة ١٠٣/٣ .

(٣١٣) الجد : أي الغنى .

(٣١٤) الفتح ٢٠٩/١٤ ومسلم ٢٠٩٦ .

صِفَةُ الجَنَّةِ وَأَهْلِهَا

أما هذه الدارُ فإنها دارُ الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، دارٌ جنانُها تجري من تحتِها الأنهارُ ، دارٌ قصورُها لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ولَبِنَةٌ مِنْ فِضةٍ وملاطها المسكُ الأذفَرُ وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ وتربتُها الزعفرانُ وخيامُها اللؤلؤ المجوَّف ، هي والله نورٌ يتلألأ وريحانةٌ تَهْتَزُّ ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ وفاكهةٌ وخضرةٌ وزوجاتٌ حسان ، هنا سدرٌ مخضودٌ وطلحٌ منضودٌ وظلٌ ممدودٌ وماءٌ مسكوبٌ ، هنا يا عبدَاللهِ يأكلون ويتنعمون ولا يتمخطون ولا يبولون بل مسكٌ يَرشَحُ . هنا يضحكون ولا يبكون هنا يقيمون ولا يظعنون هنا يحيون ولا يموتون ، هنا وجوهٌ مُسْفِرَةٌ ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . هنا جمالٌ مبينٌ هنا حورٌ عينٌ ، هنا كلٌّ نعيمٍ دائمٍ هنا كلٌّ شيءٍ باسمٍ . هنا يُرفعُ الحجابُ فينظرون إلى وجهِ العزيزِ الوهابِ ، هنا يا عبدَالله مالا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطر على قلبِ بشر .

النبي صلى الله عليه وسلم أولُ الناسِ دخولاً الجنةَ :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا) .

وقالَ اللهُ تَعَالَى (يا عِبَادِ لا خَوْفٌ عليكُمُ اليومَ ولا أَنتُمْ

تَحْزَنُونَ . الذينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وكانُوا مُسلِمِين . أَدْخُلُوا الجنة أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٣١٥)) .

٨٣ – وعن أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « آتِي بابَ الجنَّةِ يَومَ القِيامةِ فأَسْتَفْتِحُ فيقولُ الخازنُ : من أَنْتَ ؟ فأقولُ : محمدٌ فيقولُ : بِكَ أُمِرْتُ لا أَفتحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ » رواه مسلم (٣١٦) .

صفة أول زُمرة يدخلون الجنة وعددهم :

٨٤ – عن أبي هريرةَ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ والذينَ يَلُونَهُمْ على أَشَدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ (٣١٧) في السماء إضاءةً لا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ (٣١٨) ولا يَمْتَخِطُونَ (٣١٩) ولا يَتْفِلُونَ أَمشاطُهُمْ الذَّهَبُ

---

(٣١٥) تحبرون : أي تتنعمون وتسعدون

(٣١٦) مسلم ١٨٨ .

(٣١٧) دُريٌّ : أي كوكب ثاقب مُضيء عظيم المقدار .

(٣١٨) لا يتغوطون : أي لا يتبرزون .

(٣١٩) لا يمتخطون : المخاط من الأنف كاللعاب من الفم .

وَرَشْحُهُمُ (٣٢٠) المِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ (٣٢١) الأَلُوَّةُ (٣٢٢) وأَزْوَاجُهُمُ الحورُ العينُ ، أَخْلاَقُهُمْ على خُلُقِ رَجُلٍ واحدٍ على صورةِ أَبيهم آدَمَ سِتونَ ذِراعاً في السماء » متفق عليه (٣٢٣) .

٨٥ – وعن أَبي حازمٍ عن سهلِ ابنِ سَعْدٍ رَضي اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ من أُمتي سَبعونَ أَلفاً أو سبعُمائةِ أَلفٍ – لا يدري أبو حازمٍ أَيُّهُما قالَ – مُتَمَاسِكُونَ ، آخِذٌ بَعْضُهم بَعْضاً لا يدخُلُ أَوَّلُهُمْ حتى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجوهُهُمْ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ » متفق عليه (٣٢٤) .

٨٦ – وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرأَيتُ النبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيْطُ (٣٢٥) والنبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلاَنِ

---

(٣٢٠) الرشح : أي ندى العرق على الجسد ..

(٣٢١) المجامر : جمع مجمر . ومجمر بالكسر هو شيء يوضع فيه النار والبخور وبالضم الذي يتبخر به وأُعد له الجمر .

(٣٢٢) الألوة : هو العود المتندي الذي يُتبخر به .

(٣٢٣) الفتح ٧/١٧٥ ومسلم ٢١٧٩ .

(٣٢٤) الفتح ١٤/٢٠٦ ومسلم ١٩٨ .

(٣٢٥) الرُهيط تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشر .

والنبيَّ ليسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ (٣٢٦) عظيمٌ فظننتُ أَنهم أُمتي فقيلَ لي : هذا مُوسى صلى اللهُ عليهِ وسلم وقومُهُ ولكن انْظُرْ إِلى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيلَ لي : انظُرْ إِلىَ الأُفُقِ الآخَرِ فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيلَ لي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سبعونَ أَلفاً يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ » ثم نَهَضَ فدَخَلَ مَنزِلَهُ فخاضَ (٣٢٧) الناسُ في أُولئكَ الذينَ يَدْخُلُونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ فقالَ بعضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الذينَ صَحِبُوا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وقالَ بعضُهُم : فَلَعَلَّهُمْ الذينَ وُلدُوا في الإِسلامِ ولم يُشْرِكُوا باللهِ وذَكَرُوا أَشياءَ ، فَخَرَجَ عليهِمْ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقالَ : « ما الذي تَخُوضُونَ فيهِ » ؟ فأَخبَرُوهُ فقالَ : « هُمُ الذينَ لا يَرْقُونَ (٣٢٨) ولا يَسْتَرْقُونَ (٣٢٩) ولا يَتَطَيَّرُونَ (٣٣٠) وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُونَ » فقامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فقالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فقالَ : « أَنْتَ مِنهم » ثم قامَ رجُلٌ آخَرُ فقالَ : « ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني

(٣٢٦) السواد : أي الجمع .

(٣٢٧) خاض : أي تكلم .

(٣٢٨) وفي رواية « لا يكتوون » أي لا يستعملون الكي في البدن للتداوي .

(٣٢٩) الاسترقاء : طلب الرقية للتداوي .

(٣٣٠) التطير : أي التشاؤم .

مِنْهُمْ فقالَ : « سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ »(٣٣١أ) متفق عليه (٣٣١)

ذكرُ ما لأدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً من الكرامةِ وما لأعلاهم :

٨٧ – عن المغيرةَ بن شُعْبَةَ يرفَعُهُ إلى رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ : ما أَدْنَىٰ أَهْلِ الجنَّةِ منزِلَةً ؟ قالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بعدَما أُدْخِلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ فيقالُ لهُ : ادْخُلِ الجنَّةَ ، فيقولُ : أيْ رَبِّ كيفَ ؟ وقد نَزَلَ الناسُ منازِلَهُمْ وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِم (٣٣٢) فيقالُ

(١٣٣١) قال النووي رحمه الله : اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الإمام أبو عبد الله المازري : احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوي مكروهٌ ومعظمُ العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره صلى الله عليه وسلم لمنافع الأدوية والأطعمة كالحبة السوداء والقسط والصبر وغير ذلك وبأنه صلى الله عليه وسلم تداوى وبإخبار عائشة رضي الله عنها بكثرة تداويه وبما علم من الإستشفاء برقاة وبالحديث الذي فيه أن بعض الصحابة أخذوا على الرُّقية أجرا ، فإذا ثبت هذا حمل ما في الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى . وذهب أبو سليمان الخطابي وغيره إلى أن المراد من تركها توكلا على الله تعالى ورضاه بقضائه وبلائه ، قال الخطابي : وهذه من أرفع درجات المحققين بالإيمان ، قال القاضي عياض : وهذا ظاهر الحديث ومقتضاه ، انتهى ملخصا (شرح مسلم ٣/٩٠) .

(٣٣١) الفتح ١٤/١٩٨ ومسلم ١٩٩ .

(٣٣٢) أخذاتهم : أي ما أخذوه من كرامة مولاهم وما حصلوه .

لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يكونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنيا فيقولُ : رضيتُ رَبِّ فيقولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فقالَ في الخامِسَةِ : رَضيتُ رَبِّ فيقولُ : هذا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمثالِهِ ولَكَ ما اشتَهَتْ نَفْسُكَ ولَذَّتْ عَيْنُكَ فيقولُ : رَضيتُ رَبِّ . قالَ : رَبِّ فأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قالَ : أُولئِكَ الذينَ أَرَدْتُ (٣٣٣) غَرَسْتُ كرامَتَهُمْ بِيَدِيْ وَخَتَمْتُ عليها فلم تَرَ عَيْنٌ ولم تَسْمَعْ أُذُنٌ ولم يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ » قالَ : ومِصْداقُهُ في كتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (**فلا تَعْلَمُ نَفسٌ ما أُخفِيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أَعْيُنٍ**) الآيَةَ . رواه مسلم (٣٣٤) .

٨٨ – وعن أبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصالِحِينَ مالا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ – فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ** » متفق عليه (٣٣٥) .

ذكـــرُ أبوابِهـــا :

وأبوابُ الجنةِ ثمانيةٌ وقد تَقَدَّمَ أنَّ ما بينَ جانِبَيْ البابِ

---

(٣٣٣) أردت : أي اخترت واصطفيت .

(٣٣٤) مسلم ١٧٦ .

(٣٣٥) الفتح ١٣١/٧ ومسلم ٢١٧٤ .

كما بين مكةَ وهجرٍ أو كما بين مكةَ وبُصرى (٣٣٦) . وسيُدعى الصالحونَ كلٌّ بما سبق به من التطوُّعِ فمن كان من أهلِ الصدقةِ دُعي من بابِ الصدقة ومن كان من أهلِ الصيامِ دعي من بابِ الريَّان وسيُدعى قومٌ من جميع تلك الأبواب ولعلهم السابقون .

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ (**وَسِيقَ الذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَرًا حتى إذا جاؤُهَا وفُتِحَتْ أَبْوابُهَا وقالَ لهم خزنتها سلامٌ عليكم طِبْتُمْ فادْخُلُوهَا خالِدِينَ**) .

وقالَ اللهُ تعالَى (**هَذا ذِكْرٌ وإنَّ لِلمتقينَ لَحُسْنَ مَآبٍ . جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ**) .

٨٩ — وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قالَ : « من أَنفَقَ زَوْجَيْنِ في سبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنَّةِ : يا عبدَاللهِ هذا خيرٌ ، فمن كانَ من أهْلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاةِ ومن كانَ من أهْلِ الجهادِ دُعِيَ من بابِ الجهادِ ومن كانَ من أهْلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ الرَّيَّانِ ومن كانَ من أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ من بابِ الصَّدَقَةِ » فقالَ أبو بَكْرٍ رَضي اللهُ عنهُ : بِأبي أنْتَ وأُمِّي

(٣٣٦) ما بين مكة وهجر ١١٦٠ كم وما بين مكة وبصرى ١٢٥٠ كم تقريباً .

يارسولَ اللهِ ، ما عَلَى من دُعِيَ من تلكَ الأبوابِ من ضَرَوْرَة (٣٣٧) فهل يُدْعَى أَحَدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها ؟ قالَ : « نَعَمْ وأَرْجُو أَنْ تكونَ مِنْهُمْ » متفق عليه (٣٣٨) .

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ : في الحديثِ إشعارٌ بقلةِ من يدعى من تلكَ الأبوابِ كلِّها وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المرادَ ما يُتطوَّعُ بهِ من الأعمالِ المذكورةِ لا واجباتِها لكثرةِ من يجتمع له العملُ بالواجبات كلِّها بخلاف التطوعات فَقَلَّ من يَجْتَمِعُ له العملُ بجميع أنواعِها ثم من يجتمع له ذلك إنما يُدعى من جميعِ الأبوابِ على سبيلِ التكريمِ له والا فدخولُه إنما يكونُ من بابٍ واحدٍ ولعلَّهُ بابُ العملِ الذي يكون أغلب عليه . والله أعلم (٣٣٩).

٩٠ – وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ في الجنةِ باباً يقالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ منهُ الصائِمُونَ يومَ القيامَةِ لا يَدْخُلُ معهُم أَحَدٌ غيرُهُمْ يقالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَدْخُلُونَ منهُ ، فإذا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ » متفق عليه (٣٤٠) .

---

(٣٣٧) جملة معناها ما عليه من ضرر ولا خوف .

(٣٣٨) الفتح ١٣/٥ ومسلم ٧١٢ .

(٣٣٩) الفتح ٢٦/٨ .

(٣٤٠) الفتح ١٣/٥ ومسلم ٨٠٨ .

درجاتهـــا :

ودرجاتُ الجنةِ كثيرةٌ ، وما بين الدرجتين كما بين السماء والأرضِ ، منها مائةُ درجةٍ للمجاهدين ودرجاتٌ أُخرىٰ للمؤمنين والعلماء .

قالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤمِناً قد عَمِلَ الصالحاتِ فأُولئِكَ لَهمُ الدرجاتُ ٱلْعُلَى) .

وقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَرْفَعُ اللهُ الذينَ آمنُوا منكم والذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ واللهُ بما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (فَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ بأموالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ على القاعدينَ درجةً وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ ٱلْحُسنىٰ وَفَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدينَ أَجْراً عَظيماً . دَرجاتٍ منهُ ومغفرةً ورحمةً وكانَ اللهُ غفوراً رَحِيْماً) .

٩١ – وعن أَبي هُريرةَ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « من آمَنَ باللهِ وبِرَسُولِهِ وأَقامَ الصَّلاةَ وصامَ رمضانَ كانَ حَقّاً على اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ جاهَدَ في سبيلِ اللهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها » فقالوا : يا رسولَ اللهِ أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قالَ : « إِنَّ في الجنَّةِ مائَةَ درجَةٍ أَعَدَّها

اللهُ للمجاهدين في سبيلِ اللهِ ما بينَ الدَّرجتينِ كما بَينَ السَّماءِ والأَرضِ فإذا سأَلْتُمُ اللهَ فاسأَلوهُ الفِرْدَوْسَ فإنهُ أَوْسَطُ الجنةِ وأَعْلى الجنةِ » أُراه قالَ : « وفوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ ومنهُ تَفَجَّرُ أَنهارُ الجَنّةِ » رواه البخاري (٣٤١) .

٩٢ – وعن عبدِاللهِ بن عمرو بن العاص رَضي اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « يُقالُ لِصاحِبِ القرآنِ : اقْرَأْ وارْتَقِ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا فإنَّ مَنزِلَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا » رواه أحمد (٣٤٢) وصححه الألباني (٣٤٣) .

عُلُو غُرفها :

قالَ اللهُ تَعالَى (**لَكِنِ الذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ لَهم غُرَفٌ من فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي من تحتِها الأنهارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ الميعادَ**) .

٩٣ – وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضي اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « إنَّ أَهْلَ الجنةِ لَيَتَراءَوْنَ أَهْلَ

(٣٤١) الفتح ٣٥١/٦ .

(٣٤٢) المسند ١٩٢/٢ .

(٣٤٣) صحيح الجامع ٣٤٩/٦ .

الغُرَفِ من فَوْقِهِم كما تَتَراءَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ (٣٤٤) في الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتفاضُلِ ما بينهم » قالوا : يا رسولَ اللهِ تِلْكَ منازِلُ الأنبياء لا يَبْلُغُها غيرُهُم ؟. قالَ : « بَلَى والذي نَفْسِي بيدِهِ رجالٌ آمنوا باللهِ وَصدَّقوا المُرسَلِينَ » متفق عليه (٣٤٥) .

مأكلُ أهلِها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**يا عِبادِ لا خَوْفٌ عليكُمُ اليومَ ولا أنتم تَحْزَنُونَ . الذينَ آمنوا بآياتِنَا وكانوا مُسلمينَ . ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُوْنَ . يُطَافُ عليهِمْ بِصِحَافٍ (٣٤٦) من ذَهَبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعيُنُ وأَنتُمْ فيها خَالِدونَ . وتلكَ الجَنَّةُ التي أُورِثْتُموها بما كُنتم تَعْملونَ . لَكُمْ فيها فاكهةٌ كثيرةٌ مِنها تأكُلُونَ**) .

وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (**والسَّابقونَ السَّابقونَ . أُولئكَ المُقَرَّبُونَ في جَنَّاتِ النعيم . ثُلَّةٌ من الأَولينَ . وقليلٌ من الآخِرِيْنَ . على سُرُرٍ موضُونَةٍ (٣٤٧) مُتَّكِئِينَ عَلَيها مُتَقابِلِينَ .**

---

(٣٤٤) الغابر : أي الذاهب المتدلي للغروب .

(٣٤٥) الفتح ٧ / ١٣٧ ومسلم ٢١٧٧ .

(٣٤٦) صحفة : واحدة الصحاف ـ شبه قصعة عريضة .

(٣٤٧) موضونة : أي منسوجة بالذهب .

يَطُوفُ عليهمْ وِلْدانٌ مخلدونَ . بأَكوابٍ وأباريقَ وكأْسٍ من معينٍ (٣٤٨) . لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا يُنْزِفُونَ (٣٤٩) . وفاكِهَةٍ مما يَتخيَّرونَ . ولحمِ طَيْرٍ مما يَشْتَهُونَ . وحورٌ عِينٌ . كأَمثالِ اللُّؤلُؤِ المكنونِ . جَزَاءً بِما كانوا يَعملونَ . لا يَسمَعونَ فيها لَغواً ولا تأْثيماً . إِلاَّ قيلاً سَلاماً سلاماً . وأَصحابُ اليمينِ ما أَصحابُ اليمينِ . في سدرٍ مخضودٍ (٣٥٠) . وَطَلحٍ منضودٍ (٣٥١) . وَظِلٍّ ممدودٍ . وماءٍ مسكوبٍ . وفاكهةٍ كثيرةٍ . لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ . وفرشٍ مرفوعةٍ (٣٥٢) . إِنَّا أَنشأْناهُنَّ إِنْشاءً . فجعلناهُنَّ أَبْكاراً . عُرُباً (٣٥٣) أتراباً (٣٥٤) . لأَصحابِ اليمينِ . ثُلَّةٌ مِنَ الأَولينَ . وثُلَّةٌ مِنَ الآخرينَ (٣٥٥) .

---

(٣٤٨) أي خمر من عين جارية معين .

(٣٤٩) أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم .

(٣٥٠) أي لا شوك فيه .

(٣٥١) الطلح شجر عظام بالحجاز واحدته طلحة وقيل هو الموز والله أعلم ومنضود : أي متراكم الثمر .

(٣٥٢) أي عالية وطيئة ناعمة .

(٣٥٣) أي متحببات إلى أزواجهن .

(٣٥٤) أي على ميلاد واحد .

(٣٥٥) أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين .

٩٤ – وعن جابرِ بْنِ عبدِاللهِ رَضِي اللهُ عنهُما قالَ : سمعتُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يقولُ : « إنَّ أَهْلَ الجنةِ يأكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُون ولا يَتْفِلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ » قالُوا فما بالُ الطعامِ ؟ قالَ : « جُشاءٌ (٣٥٦) وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ كَما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ » رواه مسلم (٣٥٧) .

خيامُها وجنانُها وتربتُها :

٩٥ – عن أبي موسى الأشعَرِيِّ رَضِي اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « إنَّ لِلْمُؤمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً من لُؤْلُؤةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طولُها سِتُّونَ ميلاً ، لِلْمُؤْمِنِ فيها أَهْلُونَ يَطُوفُ عليهِمُ المُؤمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهمْ بَعْضاً » متفق عليه (٣٥٨) .

٩٦ – وعن أنسِ بن مالكٍ رَضِي اللهُ عنه قالَ : وساقَ حديثُ الإسراءِ . قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « ثم انطَلَقَ بي جبريلُ حتى نأتِيَ سِدرَةَ المُنْتَهَى ، فَغَشِيَها ألوانٌ لا

---

(٣٥٦) التجشؤ : تنفس المعدة عند الإمتلاء .

(٣٥٧) مسلم ٢٦٨٠ .

(٣٥٨) الفتح ١٠/٢٤٨ ومسلم ٢١٨٢ .

أدري ما هِيَ . قالَ : ثم أُدْخِلْتُ الجنةَ فإذا فيها جَنَابِذُ (٣٥٩) اللُّؤْلُؤِ وإذا تُرابُها المِسْكُ » متفق عليه (٣٦٠) .

٩٧ — وعن أبي موسى الأشعري رَضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهُما وما فيهِمَا وجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهُما وما فيهما ، وما بينَ القومِ وبينَ أَنْ يَنظُروا إلى رَبِّهِم إلاَّ رِداءُ الكِبرِياءِ على وجهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ » متفق عليه (٣٦١) .

صفةُ شجرِها :

٩٨ — عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضي اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « إنَّ في الجَنَّةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ (٣٦٢) مائةَ عامٍ ما يَقْطَعُها » متفق عليه (٣٦٣) .

٩٩ — وعنْ أَبي هُريرةَ رَضي اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمِ : « ما في الجنَّةِ شَجَرَةٌ إلاَّ وَسَاقُها من

---

(٣٥٩) الجنابذ . هي قباب والخيام .

(٣٦٠) الفتح ١٨٥/٧ ومسلم ١٤٩ .

(٣٦١) الفتح ٢٠٦/١٧ ومسلم ١٦٣ .

(٣٦٢) تضمير الفرس : أي أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يوماً .

(٣٦٣) الفتح ٢١٥/١٤ ومسلم ٢١٧٦ .

ذَهَبٍ » رواه الترمذي (٣٦٤) وقال : هذا حديث حسن غريب . وصححه الألباني (٣٦٥) .

صفةُ سُوقِها :

١٠٠ – عن أَنَسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « إنَّ في الجنةِ سُوقاً يأتونَها كُلَّ جُمعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمالِ فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وثيابِهِم فيزدادون حُسْناً وجَمالاً فَيرجِعُونَ إلى أَهلِيهِمْ وقد ازدادوا حُسْناً وَجَمالاً فيقولُ لَهم أَهْلُوهُمْ : واللهِ لقد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وجَمالا فيقولونَ : وأَنْتُمْ واللهِ لقد ازْدَدْتُمْ بعدَنَا حُسْناً وجَمالاً » رواه مسلم (٣٦٦) .

صفةُ قصورِها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**وَعَدَ اللهُ المؤمنينَ والمؤمناتِ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكنَ طيبةً في جناتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ من اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفوزُ العَظِيمُ**) .

١٠١ – وعن جابرِ بْنِ عبداللهِ رَضي اللهُ عنهُما قالَ :

---

(٣٦٤) السنن ١٠/٣ .

(٣٦٥) صحيح الجامع ١٥٠/٥ .

(٣٦٦) مسلم ٢١٧٨ .

قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « دخلتُ الجنةَ فإذا أنَا بقَصْرٍ من ذَهَبٍ فقلتُ : لِمَنْ هذا ؟ فقالوا : لِرَجُلٍ من قُرَيْشٍ فما مَنعني أنْ أدْخُلَهُ يا ابنَ الخَطَّابِ إلاَّ ما أعلَمُ من غيرَتِكَ » قالَ : وَعَلَيْكَ أُغارُ يا رَسولَ اللهِ (٣٦٧) ؟ متفق عليه (٣٦٨) .

صفةُ أنهارها :

قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ (**إنَّ الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصالحاتِ إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ من أحْسَنَ عَمَلاً . أُولئِكَ لهُم جناتُ عَدْنٍ تَجْرِي من تحتِهِمُ الأنهارُ يُحلَّونَ فيها من أساوِرَ من ذَهَبٍ وَيلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ (٣٦٩) مُتَّكِئِينَ فيها على الأرَائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣٧٠)**

وقالَ اللهُ تَعالَى (**مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقونَ فيها أنهارٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ (٣٧١) وأنهارٌ من لبنٍ لم يَتَغَيَّرْ طعمُهُ**

---

(٣٦٧) أي : ومنك أغار يارسول الله .

(٣٦٨) الفتح ١٦/٧٥ ومسلم ١٨٦٢ .

(٣٦٩) السندس : لباس رقاع رقاق كالقمصان وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق والله أعلم .

(٣٧٠) أي حسنت منزلاً ومقيلاً ومقاما .

(٣٧١) الماء الآسن : أي المتغير والمنتن .

وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربينَ وأنهارٌ من عسلٍ مُصفّى وَلَهُمْ فيها من كُلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ من رَبِّهم كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النارِ وَسُقُوا ماءً حَمِيماً (٣٧٢) فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ) .

١٠٢ - وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : «دَخَلْتُ الجنَّةَ فإذا أنا بنَهرٍ حافَتاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ فَضَرَبْتُ بِيَدِيَ إلى ما يَجري فيه الماءُ فإذا مِسكٌ أذْفَرُ (٣٧٣) قلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قالَ : هذا الكوثرُ الذي أعطاكَهُ اللهُ» رواه أحمد (٣٧٤) وصححه الألباني (٣٧٥) وأصله في الصحيح (٣٧٦) .

صفةُ الحورِ العينِ :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ (٣٧٧) عِينٌ (٣٧٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مكنونٌ (٣٧٩)) وقالَ اللهُ تَعالى

---

(٣٧٢) أي حاراً لا يُستطاع .

(٣٧٣) أي طيب الريح .

(٣٧٤) المسند ١٠٣/٣ .

(٣٧٥) صحيح الجامع ١٤١/٣ .

(٣٧٦) الفتح ١٠ / ٣٦٢ .

(٣٧٧) أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

(٣٧٨) أي حسان الأعين .

(٣٧٩) أي كبياض البيض المكنون ورقته حين ينزع القشر عنه والله أعلم .

(حورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ (٣٨٠)) وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (هَذا ذِكْرٌ وإنَّ للمتقينَ لَحُسْنَ مآبٍ . جناتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لهم الأبوابُ . مُتَّكِئِينَ فيها يَدْعُونَ فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ . وعندَهُمْ قاصراتُ الطَّرْفِ أترابٌ (٣٨١) . هذا ما تُوعَدونَ ليومِ الحسابِ . إنَّ هَذا لَرِزْقُنا ما لَهُ من نَفادٍ (٣٨٢) . وقالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَحُورٌ عِينٌ كأمثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ) .

١٠٣ – وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمِ أَنَّهُ قالَ : « لَرَوْحَةٌ في سبيلِ اللهِ أو غَدْوَةٌ (٣٨٣) خَيْرٌ من الدُّنيا وما فيها . ولقابُ قَوْسِ (٣٨٤) أَحَدِكُمْ منَ الجَنَّةِ أو مَوْضِعُ قِيْدٍ – يَعْني سَوْطَهُ – خَيْرٌ منَ الدُّنيا وما فيها . ولو أَنَّ امرأةً من أهلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ

---

(٣٨٠) أي محبوسات في خيام اللؤلؤ لا يردن غير أزواجهن ولا يطمحن إلى من سواهم .

(٣٨١) أي متساويات في السن .

(٣٨٢) أي لا انتهاء لهذا النعيم ولا زوال ولا انقضاء .

(٣٨٣) الغدوة من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه والروحة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها .

(٣٨٤) أي قدره – وقيل : القاب ما بين الوتر والقوس

إلى أَهْلِ الأَرْض لأَضَاءَتْ ما بَيْنَهُما وَلَمَلأَتْهُ رِيْحاً ، وَلَنَصِيفُها (٣٨٥) على رَأْسِها خَيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها » رواه البخاري (٣٨٦) .

١٠٤ – وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « يُعْطَى المؤمِنُ في الجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الجماعِ » قيلَ : يا رَسُولَ اللهِ أَوَ يُطيقُ ذَلِكَ ؟ قالَ : « يُعْطَى قُوَّةَ مائَةٍ » رواه الترمذي (٣٨٧) وصححه الألباني (٣٨٨) .

١٠٥ – وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « إنَّ أزواجَ أهل الجَنَّةِ ليُغَنِّينَ أزواجهنَّ بأحسن أصواتٍ ما سمعها أحدٌ قط : إن مما يغنين : نَحنُ الخَيِّراتُ الحسانُ ، أزواجُ قَومٍ كرام ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيانٍ ، وإن مما يُغَنِّينَ به : نحنُ الخالداتِ فلا يَمُتْنَهْ ، نَحنُ الآمِناتُ فلا يَخَفْنَهْ : نحنُ المقيماتِ فلا يَظْعَنَّه » رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني (٣٨٩) .

---

(٣٨٥) أي خمارها .

(٣٨٦) الفتح ٣٥٥/٦ .

(٣٨٧) السنن ١٠/١٠ .

(٣٨٨) المشكاة ٩٠/٣ .

(٣٨٩) صحيح الجامع ٤٨/٢ .

١٠٦ – وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قيل يا رسول الله ، هل نَصِلُ إلى نِسائِنا في الجنَّة (٣٩٠) ؟ فقالَ : « إنَّ الرَّجُلَ لَيصل في اليوم إلى مائَةِ عذراء » رواه أبو نعيم في صفَةِ الجنَّة وقال الضياء المقدسي : رجاله عندي على شرط الصحيح ووافقه الألباني (٣٩١) .

دوام نعيم أهلها :

قالَ اللهُ تباركَ وتعالَى (**والذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدخِلُهُمْ جناتٍ تَجْرِي منْ تحتِها الانهارُ خالدينَ فيها أبداً لهُم فيها أَزواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً**) .

١٠٧ – وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضي اللهُ عنهُ أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمِ قالَ : « إنَّ اللهَ يقولُ لأَهْلِ الجنةِ : يا أَهْلَ الجنةِ فيقولونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ ، فيقولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فيقولونَ : وما لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وقد أَعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أحَداً من خَلْقِكَ . فيقولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذَلِكَ ؟ فيقولونَه: يَا رَبِّ وأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلِكَ ؟ فيقولُ : أُحِلُّ عليكُمْ رِضْوانِي فلا أَسْخَطُ عليكُم بَعْدَهُ

---

(٣٩٠) هو كناية عن الجماع .

(٣٩١) الأحاديث الصحيحة . حديث ٣٦٧ ..

أَبَداً » متفق عليه (٣٩٢) .

١٠٨ – وعن أبي سعيدٍ وأبي هُرَيرَة رَضي اللهُ عنهُما عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « يُنادِي مُنادٍ : إنَّ لَكُم أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أبداً ، وإنَّ لَكُم أَنْ تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أَبَداً ، وإنَّ لَكُم أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَداً وإنَّ لَكُم أَنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً » فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . رواه مسلم (٣٩٣) .

١٠٩ – وعن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « من يَدْخُلِ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ . لا تَبْلَى ثِيابُهُ ولا يَفْنَى شَبَابُهُ » رواه مسلم (٣٩٤) .

١١٠ – وعن زيد بْنِ أَرْقَم رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إنَّ الرجُلَ من أَهلِ الجنةِ لَيُعْطَى قُوةَ مائَةِ رجل في الأكل والشربِ والجماعِ والشهوةِ » فقال رجل من اليهود إنَّ الذي يأكُلُ وَيَشْرَبُ تكونُ منهُ الحاجَةَ

---

(٣٩٢) الفتح ١٤/٢١٢ ومسلم ٢١٧٦ .

(٣٩٣) مسلم ٢١٨٢ .

(٣٩٤) مسلم ٢١٨١ .

فقالَ : « يفيضُ من جلدِهِ عرقٌ فإذا بطنُهُ قد ضَمر » رواه الدارمي (٣٩٥) وصححه الألباني (٣٩٦) .

أعظمُ كراماتِها :

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

١١١ - وعن صهيبِ بنِ سنانٍ الروميِّ رَضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « إذا دَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ ، قالَ : يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى : تُريدونَ شيئاً أَزيدُكُم ؟ فيقولونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنةَ وتُنَجِّنا من النَّارِ ؟ قالَ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فما أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ » رواه مسلم (٣٩٧) وزاد في رواية : ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) (٣٩٨) .

تساؤل أهل الجنة عن المكذبين :

فبينما أهلُ الجنةِ على سُرُرِهم متقابلين والخدمُ يطوفونَ

---

(٣٩٥) السنن ٢/٣٣٤ .

(٣٩٦) المشكاة ٣/٩٠ .

(٣٩٧) مسلم ١٦٣ .

(٣٩٨) مسلم ١٦٣

عليهم بأطيبِ المآكلِ والمشاربِ ، تَذَكَّرَ أحدُهم صاحباً له من المكذبين بيومِ الدينِ وما كان يَسْخَرُ به من أُمورِ البَعْثِ والحسابِ والجنةِ والعذابِ فنادى منادٍ : هل أنتم مطَّلِعون ؟ فاطَّلَعوا فإذا بالمكذِبِ في وَسَطِ الجَحيمِ . فحينئذ يقول صاحبُه من أهلِ الجنةِ : تالله إن كِدتَ لتُردين . أي لَقَدْ كِدْتَ أن تُهْلِكَني لو أَطعْتُكَ ولولا فضلُ اللهِ عليَّ لصِرْتُ مثلُكَ في سواءِ الجَحيمِ .

قالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (إلاَّ عِبادَ اللهِ المُخلَصينَ . أولئِكَ لهم رِزْقٌ معلومٌ . فواكِهُ وَهُم مُكْرَمُونَ . في جناتِ النعيمِ . على سُرُرٍ متقابلينَ . يُطافُ عليهمْ بِكأْسٍ من معينٍ . بيضاءَ لَذَّةٍ للشارِبينَ . لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفُونَ . وعندَهُم قاصِراتُ الطَّرفِ عينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكنونٌ . فأقبَلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءَلُونَ . قالَ قائِلٌ منهُم إنِّي كانَ لي قَرينٌ . يقولُ أءِنَّكَ لَمِنَ المصَدِّقينَ . أءِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أءِنَّا لَمَدِينُونَ . قالَ هَلْ أَنْتُم مُطَّلِعُونَ . فاطَّلَعَ فَرآهُ في سَواءِ الجَحيمِ . قالَ تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ . ولولا نِعْمَةُ رَبِّي لكنتُ مِنَ المُحضَرينَ . أفَمَا نحنُ بِمَيِّتينَ . إلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وما نحنُ بِمُعَذَّبِينَ . إنَّ هَذا لَهُوَ الفوزُ العظيمُ . لِمِثْلِ هذا فليعملِ العامِلُون) .

لِمِثْلِ هذا فلْيَعمل العامِلُون

نَعَمْ يا عبدَالله وفي ذلك فلْيتنافس ِ المتنافِسُونَ . ولهذهِ الجنةِ فليَقُم ِ القائمونَ وليَصُم ِ الصائمون ولْيَتَصَدَّق ِ المتصدِّقون وليستعفف ِ الذين هُم لِرَبِّهم يَرْهَبُون . أمَّا هذه الدنيا يا عبد الله فدارُ غرورٍ خداعةٌ مدبرةٌ فانيةٌ . وأما الآخرةُ فمقبلةٌ باقيةٌ . هل علمتَ الآن سببَ قولهِ صلىَّ اللهُ عليهِ وسلَّم « لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمْ لَضَحِكْتُمْ قَلِيْلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً (٣٩٩) » ؟ إن كنت قد قرأتَ هذهِ الرسالةِ فأنَا على يقين أنك قد علمت .

ألا فاعزلْ يا عبدَالله عن سبيل ِ الغيِّ وأقبلْ على اللطيفِ الخبيرِ . وتُبْ وأَصْلِحْ ما دام في العمرِ فسحةٌ فإنَّكَ يا عبدَالله لا تَدري لعلك لا تُصبحُ بعد إمسائك ولا تُمسي بعد إصباحك .

عن أبي هريرةَ رَضي اللهُ عنهُ عن رسول ِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنه قالَ : « قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِي ، وأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، واللهِ ، للهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عبدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاةِ ، وَمن تَقَرَّبَ إليَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيهِ ذِرَاعاً ، ومن تَقَرَّبَ إليَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إليهِ باعاً وإذا أَقْبَلَ إليَّ يَمْشِيْ أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ** » (٤٠٠) .

---

(٣٩٩) الفتح ١٠٢/١٤ .

(٤٠٠) مسلم ٢١٠٢ .

(قُلْ يا عِبادِيَ الذينَ أَسْرَفُوا على أَنفُسِهِم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنوبَ جميعاً إنَّهُ هُوَ الغفورُ الرحيم . وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لهُ من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العذابُ ثم لا تُنْصَرُون . واَتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إليكُمْ من رَبِّكُمْ من قبلِ أَنْ يأْتِيَكُمُ العذابُ بَغْتَةً وأَنْتم لا تَشْعُرُونَ . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَىٰ عَلَىَ ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ وإنْ كُنْتُ لمن الساخِرِيْنَ . أَو تقولَ لو أَنَّ اللهَ هداني لكنتُ من المُتَّقِين . أَو تقولَ حينَ تَرَى العذابَ لو أَنَّ لي كَرَّةً فأَكونَ من المُحْسِنِينَ . بلى قد جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا واستكبرتَ وكُنْتَ من الكافرين) .

المراجـــــع

١ - **القرآن الكريم** .

٢ - **أحكام الجنائز** . محمد ناصر الدين الألباني . بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

٣ - **الأحاديث الصحيحة** . محمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي .

٤ - **الترغيب والترهيب** . أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري . القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

٥ - **الروح** . أبو عبد الله شمس الدين بن قيم الجوزية . بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٦ - **المستدرك** . أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري الرياض .

٧ - **تفسير ابن كثير** . بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٨ - **سنن إبن ماجة** . أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

٩ - **سنن أبي داود** . سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . طبعة دار الفكر .

١٠ - **سنن الدارمي** . أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي . طبعة دار احياء السنة النبوية .
١١ - **صحيح الجامع الصغير** . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تحقيق الألباني ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
١٢ - **صحيح مسلم** . أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
١٣ - **صحيح مسلم بشرح النووي** . القاهرة . طبعة المكتبة المصرية ومكتبتها .
١٤ - **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** . بيروت طبعة دار العلم للجميع .
١٥ - **فتح الباري بشرح البخاري** . القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م
١٦ - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
١٧ - **مشكاة المصابيح** . ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي . دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
0413046

